فصل المقال وارشاد الضال

في توسل الجهال

تأليف الاستاذ المفضال

والاسد الجوّال رب النقد والتحرير الشيخ أبي بكر خوقير

المكتبي بمكة المكرمة

طبع على نفقة الوجيه الفاضل الحاج عبد القادر التلمساني

oneikanali.com

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك ونستعينك ونستهديك ولا نعبد احدا غيرك ولا نرجو سواك ولا نتوكل الا عليك ولا نستعين الا بك ولا ندعو سواك ولا نلجأ الا اليك . ونصلي ونسلم على من ارسلته باخلاص العبادة والعبودية والذب عن حماك في الالوهية وعلى آله واصحابه والتابعين وتابعهم واحزابه يا مجيب دعاء المضطرين ويا امان الخائفين من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرك ومتابعة رسولك والجهاد في سبيلك

اما بعد فقد بلغني ورود رجل من افاضل الهند الى ثغر جده المحروس فوصلت الى محله للسلام عليه حبا في العلم واهله فحصلت معه مذاكرة في التوسل وما تفرع عنه من توسع الناس فيه قولا وفعلا فظهر من هذا الرجل تعصب جاهلي وقال ان آدم توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه ورد في تفسير قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) انه قال «يا رب بحق محمد اغفر لي» فكتبنا له عبارات الامام ابن جرير والامام ابن كثير في تفسير تلك الآية (وسيأتي نصها) فأرسل الينا رسالة بامضائه

هكذا (المفتي احمد حسن الجالندري) وقد افرغ في هذه الرسالة ما في جعبته وأعرب عن وقاحته وجهله المركب وما عنده من فاسد التعصب وبرهن بلحنه وتراكيب عباراته على عدم معرفته كلام العرب واضافه الى عجمته وجهله الكذب وسوء الادب — يقول فيها: صديقي وخليلي الشيخ عبد القادر: ثم يتهكم معيرا لنا بتعاطي التجارة كأنه يرى استحالة اجتماعها مع العلم، الم يعلم بان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعاطون اسباب التجارة والحرفة ولم يمنعهم الصفق في الاسواق من الصلاة مع رسول صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه حتى نوه الله بشأنهم في القرآن العزيز بقوله (رجال لا تلهيهم تجارة) الآية وكان من اعظمهم ثروة عبد الرحمن بن عوف الذي اختاره فيمن انتخبه للخلافة والشورى وقد اتجر كثير من العلماء والأئمة وتعاطوا أسباب الحرفة وطلب المعيشة وقد ذكر بعضهم أن الغنى مما يزيد في العقل، وقد أجمع أهل العلم على أن العلم ليس بكثرة الرواية وانما هو نور يضعه الله في قلب من شاء كما قاله الامام مالك وكما في الحديث «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». نعم ينبغي ان يعير العالم اذا تاجر بعلمه وجعله شبكة يصطاد به الدنيا او يخدم به اغراض الحكام حتى يحصل مرتبا او لقبا مثل (خطاب شمس العلماء) نعم ينبغي ان يعير العالم اذا تصدر (للفتيا) وهو ليس اهلا لها وتجاسر على القول بما لا يعلم واسرع في الجواب ولم يرقب رب الارباب فقد قال صلى الله عليه وسلم «أجرأكم على الفتيا اجرأكم على النار» وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وأعظم الناس جرأة على الله وافتراء على رسوله القصاصون الذين نصبوا أنفسهم للوعظ على

جهل مثل هذا الرجل فليس عندهم من العلم والحياء من الله ما يمنعهم من انطلاق ألسنتهم في القول بما يكون بل يهرفون بما لا يعرفون ليستميلوا العامة ويصرفوا وجوه الناس اليهم ملبسين عليهم بزي اهل العلم والتصوف وراس مالهم لوقاحة بمحض الدعوى وصلافة الوجه وقد اتفق فيما مضى أن جلس الامام أحمد بن حنبل والامام يحيى بن معين في حلقة قصاص وهو يقول حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يحى بن معين وصار الامامان يلتفت أحدهما على الآخر ويقول كل منهما لصاحبه هل سمعت هذا الحديث هل حدثت به فيقول لا فجاء الى ذلك القصاص بعد فراغه من الوعظ فقال يارجل اننا فلان وفلان وكلانا لم نسمع بما حدثت فكيف ترويه عنا فقال كنت اظن ان لكما عقلا اني رويت عن سبعين رجلا اسمه احمد بن حنبل وسبعين رجلا سمه يحيى بن معين اتظنان ان ليس في الوجود غيركما فتركاه وانصرفا يتعجبان من وقاحته فهم اصل كل بلية في الاحاديث الموضوعة وقد قيض الله رجالا في كل زمان ومكان لنصرة دينه باحقاق الحق وابطال الباطل وكشف حال المدلس العاطل فينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين لما أخذ الله الميثاق على اهل العلم ليبينونه للناس ولا يكتمونه وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما الجمه الله بلجام من نار » وقال صاحب الوهبانية :

من الدين هتك الشرعن كل كاذب وعن مدع ما ليس فيه ويشهر

لهذا وجب علينا الانتداب للرد على هذه الرسالة فكتبنا هذه العجالة وسميناها (فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجهال) ونسأله تعالى التوفيق والهداية الى أقوم طريق

مقدمة

اعلم ان مدار التوحيد على منتهى التعظيم القلبي بانواع الخضوع الذي هو العبادة والعبودية كما هو مقتضى معنى (الاله) فانه هو ما تالهه القلوب محبة ورجاء وخوفا وتوكلا ولهذا ورد في الحديث القدسي «ماوسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»(١) وحماية له وصيانة لحماه حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اطرائه وحمى له الفداء وسد ذرائع كثيرة من مظان الشرك وانذرنا بانه اخفى من دبيب النمل . وقد بايع نفرا من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئا فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لاحد ناوليه . ومنع من تعليق الأوتار والتمائم وأمر بقطعها وبعث رسوله كما في السنن وغيرها وقال من تعلق شيئا وكل اليه ونهى عن قول الرجل ماشاء الله وشئت وقال لمن قال له ذلك اجعلتني لله ندا ومنع من التبرك بالأشجار والأحجار وقال لأبي واقد الليثي واصحابه لما من مسلمة الفتح لما قالوا له اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط «قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى: اجعل لنا الها كما لهم آلهة» ونهى عن الصلاة عند القبور وان لم يقصدها المصلي ولعن من فعل ذلك واخبر أنهم شرار الخلق عند الله ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه

---

(١) اوردنا هذا الحديث للاستشهاد بمعناه الصحيح وان لم يصح رواية قال شيخ الاسلام ابن تيمية في جواب لمن سأله عنه: هذا مذكور في اسراء ئيليات ليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وسعني قلبه الايمان بي ومحبتي ومعرفتي ولا ممن قال حلت الله يحل في قلوب الناس فهؤلاء من النصارى خصوا ذلك بالمسيح وحده

لغيره حسما لمادة الشرك وقطعا لوسائله وسدا لذرائعه وحماية للتوحيد وصيانة لجانبه

وبيان ذلك هو ان التعظيم مما يستدرج صاحبه الى الغلو بطبيعته ويجري فيه مجرى الدم ويسري في عروقه من حيث لا يدري والطبع العامي نزاع الى المحسوسات نافر عن المعقول الذي يعقله العالمون الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلة ولسكونه الى المثال عدل من اهل الملل الى التصوير في الكتب والهياكل كاليهود والنصارى ثم لمنانية خاصة وناهيك شاهدا على ما قلته أنك لو ابديت صورة النبي صلى الله عليه وسلم اومكة والكعبة لعامي اولمرأة لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي التقبيل وتعفير الخدين والتمرغ كانه شاهد المصور وقضى بذلك مناسك الحج والعمرة وهذا هو السبب الباعث على ايجاد الاصنام باسامي الاشخاص المعظمة من الانبياء والعلماء والملائكة مذكرة امرهم عند الغيبة والموت مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى الفوت الى أن طال العهد بعامليها ودارت القرون والاحقاب عليها ونسيت اسبابها ودواعيها وصارت رسما وسنة مستعملة . ثم داخلهم اصحاب النواميس من بابها اذ كان ذلك أشد انطباعا فيهم فاوجبوه عليهم . وهكذا وردت الاخبار فيمن تقدم عهد الطوفان وفيمن تاخر عنه وحتى قيل ان كون الناس قبل بعثة الرسل امة واحدة هو عبادة الأوثان هكذا ذكره الحكيم البيروني في تاريخ الهند (١) ثم ذكر ما كان لاهل التوراة واهل الهند والروم واليونان . وقد حكى الله في

(١) قال في خطبته وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى استعمل فيه ايراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق وانما كتاب حكاية

كتابه شيئاً كثيراً من احوال المشركين من العرب وغيرهم وانزل ثلثه في التوحيد فعلى المؤمن المنصف أن يمعن نظره فيه وليتدبر حال الجاهلية مع مراجعة تفسير الامام ابن جرير وابن كثير والبغوي فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ثم لينظر ما جاء في السنة من سد كل ذريعة فاذا عرف ذلك تبين له عذر المانعين من التوسل بالانبياء والصالحين بعد موتهم سيما اذا روي ما يترتب على قول المجوزين له من فتح باب الفتنة والبدع الجمة وادخال ماليس من التوسل في بابه من كل طامة مما ينافي التوحيد على خط مستقيم حتى صار الشرك الصراح يسمى توسلا عند كثير من رؤساء الجهال من المشايخ المتصوفين، ومن نحا نحوهم من المدلسين. اومن اخذته العزة بالاثم عن قبول الحق من المكابرين، وكفاه عقوبة ضميره الذي يبكته كل حين. فليت الجهال اقتصروا في التوسل على كل مايفيد الوساطة مع توجيه الطلب الى الله سبحانه ولكنهم نسوا وتوجهوا الى الاموات، وطلبوا منهم قضاء الحاجات، وهتفوا باسمائهم عند الملمات. والاشراف على التهلكات فزادوا في الطنبور نغمة على كفار قريش معتقدين فيهم النفع والضر مملوءة قلوبهم تعظيما وحبا لهم وخوفا ورجاء

فاورد كلام الهندي على وجهه وأضيف اليه ماليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم فان فلاسفتهم وان تحروا التحقيق فانهم يخرجون فيما اتصل بعوامهم عن رموز نحلهم ومواضعات ناموسهم ولا اذكر مع كلامهم كلام غيرهم إلا ان يكون للصوفية اولاحد اصناف النصارى لتقارب الامر بين جميعهم في الحلول والاتحاد اه

ونذروا لهم النذور وقربوا لهم الذبائح ولاذوا بالقبور ووقفوا عندها خاضعين منكسين الرؤس واضعين الاكف على الاكف خاشعين. ولا يعتبرون بمن وقف معهم في ذلك المقام من الوثنيين المعروفين عندهم من البانيان والمجوس في الهند فقد صرفوا جملة عبادات لغير الله مع دعائه الذي هو مخ العبادة كما في الحديث ولقد بلغ التعظيم للاموات في قلوب الجهال فوق الغلو الى حد نسوا الله فيه. يحلف احدهم بالله كاذبا ولا يحلف بالولي الذي يعتقده خوفا من العطب حتى ادى هذا الحال عند بعض المتاخرين من القضاة تحليف من طلب منه اليمين فوق قبر الولي الذي يعتقده فيمسكونه المصحف فوق التابوت و يحلفونه به . فيالليت أولئك القوم يقولون بكراهة الطلب من الميت فيما لا يقدر عليه بدلا من تصريحهم أن ذلك توسل وقربة وليتهم ينصحون العامة بترك التغالي في ذلك وليتهم يكتبون رسائل في تقبيح ذلك أوليتهم يسكتون ويستحيون ولا يكابرون ويتركون التأليف في تحسين ذلك والحث عليه والدفاع عنه والتشويق اليه بمدائح شعرية وانشاد مقامات شيوخية، كأنهم يرون أن الدين لا يتم الا به وأن تعظيم الانبياء والصالحين لا يكون الا بذلك وكأنهم يرون أن العامة تحتاج الى زيادة ارشاد اليه وحث عليه وكأنهم لا يشعرون الى الآن بما حل بالامة من جراء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا الا ينظرون الى ما يكتبه خطباؤنا الاذكياء في المجلات العلمية كأنهم يضربون في حديد بارد أو يخاطبون أمواتا فالى الله المشتكى

ولو ترك بعض أولئك الرؤساء العناد وتنازلوا قليلا عن الغلو الذي هم فيه لوجدوا أمامهم في كتب الفقه عبارات كثيرة تمنع من ذلك . قال

في طوالع الانوار شرح تنوير الابصار مع الدر المختار للشيخ محمد عابد السندي الحنفي ولا يقول يا صاحب القبر يا فلان اقض حاجتي أو سلها من الله أو كن لي شفيعا عند الله بل يقول يا من لا يشرك في حكمه أحدا اقض لي حاجتي هذه وحيدا كما خلقتني اه

وقال في الفتاوى البزازية من قال إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر اه وقال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى للحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا أو أخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجرا قتداء بمن عبد اللات والعزى اه قال الامام الشوكاني في الدر النضيد في التوحيد واذا عرفت هذا فاعلم أن الرزية كل الرزية والبلية كل البلية أمر غير ماذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة وذلك ماصار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من انهم يقدرون على مالا يقدر عليه الا الله جل جلاله ويفعلون مالا يفعله الا الله عزوجل حتى نطقت السنتهم بما أنطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ويصرحون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعا زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء وهذا اذا لم يكن شركا فلا ندري ماهو الشرك واذا لم يكن كفرا

فليس في الدنيا كفروها نحن نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل وفي بعضها التصريح بأنه شرك وهو بالنسبة الى هذا الذي ذكرناه يسير فارجع اليه ان شئت. وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه سيف الله على من كذب على أولياء الله: هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهم تشكف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيها الاجور، قال وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الابدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الائمة، وما أجمعت عليه الامة، وفي التنزيل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ثم قال فأما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم فيرده قوله تعالى (أإله مع الله ألا له الخلق والامر لله ملك السموات والارض) ونحوه من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا واحياء واماتة وخلقا وقد تمدح الرب تعالى بملكه في آيات من كتابه كقوله تعالى (هل من خالق غير الله والذي تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وذكر آيات

obeikandl.com

في هذا المعنى ثم قال فقوله في الآيات كلها «من دونه» أي من غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقده من ولي وشيطان يستمده فان من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره الى أن قال ان هذا القول وخيم وشرك عظيم الى أن قال وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة قال جل ذكره (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت) الآية وقوله (كل نفس ذائقة الموت) (كل نفس بما كسبت رهينة) وفى الحديث «اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث» الحديث وجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فانه سبحانه يخبر أن الارواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة (قل أأنتم اعلم ام الله) قال واما اعتقادهم ان هذه التصرفات من الكرامات فهو اعظم من المغالطة لأن الكرامات شيء من الله تعالى يكرم بها أولياءه واهل طاعته لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم ابنة عمران وأسيد بن حضير وابي مسلم الخولاني وقال واما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادرة قوله (ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله ـ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) وذكر الآيات في هذا المعنى ثم قال فانه جل ذكره كرر انه الكاشف للضر لا غيره وأنه المنفرد باجابة المضطر وأنه المستغاث به لذلك كله وأنه القادر على

دفع الضر القادر على ايصال الخير فهو المتفرد بذلك فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي قال والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال او ادراك عدو او سبع ونحوه كقولهم يا آل زيد يا للمسلمين بحسب الافعال الظاهرة بالفعل واما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره قال واما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات فمن اعتقد ان لغير الله من نبي وولي او روح او غير ذلك في كشف كربة أوقضاء حاجة تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطر فهو على شفا جرف من السعير وأما كونهم مستدلين على ان ذلك منهم كرامات فحاشا لله ان تكون اولياء الله تعالى بهذه المثابة . فهذا ظن أهل الأوثان كما أخبر الرحمن (هؤلاء شفعاؤنا عند الله * ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * أءتخذ من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر) الآية فان ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي او ولي وغيره على وجه الامداد منهم اشرك مع الله تعالى اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير الا خيره قال واما ماقالوه ان منهم ابدالا ونقباء وأوتادا ونجباء وسبعين وسبعة واربعين واربعة والقطب هو الغوث للناس فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار

(قال الهندي) ورد عليّ كتاب من خليلي وصديقي الفاضل الجليل الشيخ عبد القادر التلمساني في تفسير قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب

عليه) جاء باقوال مستدلا بها على أن آدم عليه السلام ما توسل في دعائه بسيد الرسل صلى الله عليه وسلم وما كانت الكلمات (اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي الخ)

أقول هذا صورة الكتاب الذي قد مناه الى هذا الرجل بنصه

بيان ماورد في قوله تعالى ـ (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) في التفسير الكبير للعلامة الفاضل محمد ابن جرير الطبري عن ابن زيد تابعه ابو زهير ومجاهد وقتادة والحسين (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ابن عباس (أي رب ألم تخلقني بيدك قال بلى ، قال أي رب الم تنفخ في من روحك قال بلى ، قال أي رب الم تسكني جنتك قال بلى ، قال أي رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال أرأيت ان انا تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال بلى) وعنه أيضا (رب ان انا تبت وأصلحت قال اني اذاً راجعك الى الجنة) ـ أبي العالية (يارب أرأيت ان انا تبت واصلحت فقال الله اذاً أرجعك الى الجنة) فهي من الكلمات ومن الكلمات أيضاً (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ـ اسباط عن السدي (قال رب الم تخلقني بيدك قيل له بلى ، ونفخت في من روحك قيل له بلى ، قال وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى ، قال رب هل كنت كتبت علي هذه قيل له نعم ، قال رب ان تبت وأصلحت هل أنت راجعي الى الجنة قيل له نعم ، قال الله : فاجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ـ سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير تابعه ابن سنان وفطيع وخلافه (قال آدم يارب خطيئتي التي اخطأتها أشيء كتبته علي قبل ان تخلقني أو شيء ابتدعته من

قبل نفسي قال بل شيء كتبته عليك قبل ان اخلقك قال كتبته عليّ فاغفره لي) - عن معاوية « اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك استغفرك وأتوب اليك تب عليّ انك انت التواب الرحيم » - عن مجاهد (اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الراحمين اللهم لا آله الا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا آله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم - وعنه أيضاً (قال أي رب أتتوب عليّ ان تبت قال نعم فتاب عليه ربه) اه بحروفه

قال الهندي « تعجبت عجيبا لان الشيخ مع كماله كيف ترك اصول الدين وقواعد الدين المتين التى عليها مدار الشريعة الغراء والملة البيضاء وترك الحديث المرفوع في تفسير الكلمات وجاء بأقوال العلماء المختلفة سنذكر الحديث ان شاء الله تعالى »

أقول: ما أورده عليّ فهو وارد على الامام بن جرير الطبري وينبغي ان يتعجب منه كما تعجب مني فانه ترك ذلك الحديث المرفوع واني لم أزد على ان نقلت كلام ذلك الامام الذي هو التفسير بالمأثور حقيقة عن الصحابة وسلف الامة وأئمتها وتركه لذلك الحديث يشعر بعدم اعتباره صالحا لتفسير هذه الآية والطعن فيه وناهيك بمثل هذا الامام الذي أجمع أهل العلم على أن تفسيره اعظم التفاسير قال ابو حامد الاسفرائيني لو سافر رجل الى الصين في تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً وقد ترك ذلك الحديث ايضا الامام البغوي فلم يعرج عليه في تفسيره وكذلك الحافظ ابن كثير وغيرهم من أئمة التفسير

المحققين كما يأتي بيان ذلك وانه لا عبرة بنقل من يجمع بين الغث والسمين فيكون كحاطب ليل او جارف سيل فالحجة بما ثبت عن الصحابة وعن سلف الامة وأئمتها فاذلك قدمنا اليه ذلك الكتاب وقول الهندي وجاء بأقوال العلماء المختلفة فيه تمويه فقد سمعت نص ما كتبناه له من اقوال الصحابة والتابعين وأئمة التفسير ولا خلاف بينها اذ يمكن اجتماعها كلها ومن القواعد المقررة في مصطلح الحديث ان قول الصحابي في حكم المرفوع اذا لم يكن مثله مما يقال من بادي الرأي اومن الاسرائيليات وستأتي حقيقة ذلك الحديث المرفوع فهذا الرجل لم يعلم حكم هذا الحديث من الصحة او الضعف او الشذوذ لانه لم يعرف اسناده ولم يطلع على ما قيل فيه ولم يدر أن الحديث الصحيح ما شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به فانهم قالوا ان الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة وأنه لا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة او موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث من أئمة التصحيح والترجيح

قال الهندي « مثل هذا لا يعمل أحد من علماء الدين غير هذا الشيخ وما فهم وما درس » : أقول انظر الى الجهل كيف يعمل بصاحبه وكيف يطلق لسانه وبقل حياءه قال الهندي: «لو نظر في الكتب لوجد أن أقوال العلماء لا تعارض الحديث المرفوع»: أقول لو عقل هذا الرجل وفهم ما نظر فيه من الكتب وأنصف لما فاه بتلك الجملة التي دلس فيها فسيأتي أنه ليس كل حديث مرفوع حجة فان منه الضعيف الذي يقدم عليه قول الصحابي اذا صح فانه فى حكم المرفوع كما تقدم وقد علمت أن فى قوله أقوال العلماء تدليسا فان فيها من أقوال الصحابة فتأمل :

قال الهندي « وأيضا ان الشيخ ما طالع التفاسير كلها وكتب الاحاديث جلها والا لم ينكر التوسل المسنون للسر المخزون »: أقول انا لم ننكر التوسل الوارد في السنة، بل نقتصر على ما ورد في الاحاديث الصحيحة، ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك وفي جميع ماصح عنهم فنتوسل الى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبالأعمال الصالحة التي لنا وبخيارنا الصالحين من الاحياء بطلب الدعاء منهم والتأمين على دعائهم كما نفعل في الاستسقاء وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف كما سيأتي تفصيل ذلك من أنه لا دليل على جواز التوسل بالانبياء والصالحين بعد مماتهم وماذكره المجوزون من الاحاديث اما ان يكون ضعيفا لا يصلح للاستدلال، أو أنه دليل عليهم لا لهم كحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما واما قول الهندي السر المخزون ومثله في آخر الرسالة فلم تصل اليه افهامنا القاصرة ولا رأيناه في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وكأنه مما يدرك بالذوق ولا تفي بحقه العبارات كما قال الشاعر

يلوذون عند العجز بالذوق ليتهم ... يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد
نقول لهم ما الذوق قالوا مثاله ... عزيز فلا بالشم يدرك والحد
فنشعرهم بالكشف والذوق مشعر ... بأنهم عن مطلب الحق في بعد
ومن يطلب الانصاف يدلي بحجة ... ويرجع احيانا ويهدي ويستهدي

نعم ذكر بعضهم ان عباد القبور والانفس المفارقة يرون ان تعلق قلب الزائر وروحه بروح المزور سبب لنيل مقصوده وتحصيل نصيب مما يفيض على روح ذلك المزور كما ذكره الفارابي وغيره من عباد الكواكب والانفس المفارقة قال في اغاثة اللهفان ومنهم من يعبد أصناما اتخذوها

على صورة الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم المنسوب الى ابن خطيب المري تعرف سر عبادة الاصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها وكل هؤلاء مرجعهم الى عبادة الاصنام فانهم لا تستمر لهم طريقة الا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون اليه ويعكفون عليه ومن ههنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورتها فوضع الصنم انما كان في الاصل على شكل معبود غائب فجعل الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائبا منابه وقائما مقامه والا فمن المعلوم ان عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد انه الهه ومعبوده اه فمن أمعن النظر في ذلك فهم في الجملة ذلك السر المخزون المضنون به على غير أهله

قال الهندي بعد تقسيمه الحديث الى مرفوع وموقوف ومقطوع «والحديث المرفوع حجة على الاطلاق دون الباقي» : أقول هذا أكبر دليل على جهل هذا الرجل وأنه من القصاصين الذين يتكلمون بكلمات العلماء فلا يخفى على من نظر في مصطلح الحديث أن حكم الحديث المرفوع يختلف باعتبار المتن والاسناد فينقسم الى صحيح وحسن وضعيف كما أنه ينقسم باعتبار الاسناد الى متصل ومرسل ومنقطع ومعضل ومعلق فليس كل مرفوع حجة ومقبولا الا ما قبله الائمة بعد البحث عن أحوال رواته نعم قد اتفق المحدثون على أن جميع ما في الصحيحين من المتصل المرفوع صحيح بالقطع فتأمل .

قال الهندي « وأيضا ثبت عند أهل العلم والدين أن الاثبات

بالذكر لا يدل على نفي غيره والشيخ ماجاء في دليله ومكتوبه الا بالقول المحض خاليا عن الادلة الشرعية » : أقول هذه العبارة ركيكة لا يكاد يفهم معناها ولكن نحن نترجمها فمقصوده أن اثبات أمر لا يدل على نفي غيره أي أنه لا يقبل ما اثبتناه في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم عن ربه عن ائمة التفسير والحديث من الصحابة والتابعين والحفاظ المسندين ولا يعتبر اثبات ذلك نافيا لما ظفر به من الحديث المرفوع في تفسير تلك الكلمات بتوسل آدم بحق محمد صلوات الله وسلامه عليهما وقد فاته ان الاثبات اذا كان على وجه الحصر يدل على نفي غيره وكذا اذا قامت قرينة عليه وقد قررنا ان ترك ائمة التفسير الذين عليهم المعول فيه يشعر بعدم اعتبار ذلك الحديث طعنا فيه وهذا الرجل نفسه قرر في اول كلامه ان تركنا لذلك الحديث المرفوع انكار له وتعجب منه كما سمعته كل ذلك من قرينة المقام فشن علينا الغارة واقام القيامة وقال مثل هذا لا يعمل احد من علماء الدين غير هذا الشيخ فتأمل :

قال الهندي : « لعل الشيخ يكون في وقت الكتابة في شغل البيع والشراء ناسيا على قواعد العلماء يا ايها الشيخ اللبيب علم التجارة لا يحصل به علم الدين ولو بلغتم سن اليقين فاستحيوا من الله العظيم لا تستحيوا من الناس » :

أقول لا يستحيل اجتماع العلم مع التجارة كما تقدم بيانه في صدر هذه العجالة وكما هو موجود في الناس بكثرة ولله الحمد

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

وما أحسن الحياء من الله نسئله التوفيق سبحانه وما أحسن هذه النصيحة

لو عمل بها الناصح فخير له ان لو استحي من الله واشتغل بالتعلم بدلا من التعليم والارشاد على جهل فلو جاء عندنا مع اشتغالنا بالتجارة لعلمناه اللسان العربي واصلحنا عقيدته وعلمناه علم الدين

قال الهندي « ان شاء الله تعالى انا ابين هذه المسئلة يعني مسئلة التوسل بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة بتوفيق الملك العلام صاحب الجود والانعام » :

أقول ستعلم منا حقيقة تلك البراهين والحجج وما وقعت من جهله في لجج

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الهندي: « والعجب ان الشيخ من اي لفظ لمجاهد وقتادة وغيرهما رحمهم الله فهم الحصر وما يدري ان القاعدة تقررت عند الاصوليين ان الاثبات بالذكر لا يدل على نفي الغير صدق من قال شعر

من مذهبي حب الديار لاهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

اقول هذا مكرر مع ماقبله كما تقدم مع الجواب عليه وكأنه يترنم بهذا البرهان القاطع اعجابا به فتأنق في ايراده ولكن في غير محله مع احتياجه الى ترجمان يحله ثم استشهد عليه ببيت لا يلائمه معجبا بنفسه فسبحان مانح العقول وفاضح الجهول !

قال الهندي : « لعله ما نظر في مدة حياته الى الآن الى تفسير المدارك ولا الى تفسير البيضاوي وتفسير عزيزي وغيره)

أقول نظرنا في تفسير المدارك للنسفي وفي تفسير البيضاوي فلم نجد فيهما ذلك الحديث المرفوع واما تفسير العزيزي فهو بالفارسي وغير كامل وقد وقفنا على غير هذه التفاسير المتداولة بين الناس مما لم تحظ به المطابع

فنسئله سبحانه العلم النافع ونحمده على توفيقه والهداية الى اعتقاد السلف الصالح :

قال الهندي: « ها انا أقول فاستمع بالسمع الشهير خالياً عن التوهب متمسكا بالقول السديد ان التوسل بالانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء العظام ثابت بدلائل شتى» : أقول اعلم أن مبنى العبادة على الامر والاتباع لا على الهوى والابتداع والتوسل الذي جاءت به السنة وتواتر في الاحاديث هو التوسل والتوجه الى الله بالاسماء والصفات وبالاعمال الصالحات كالادعية الواردة في السنة كقولهم اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت وكالتوسل بدعاء الانبياء وشفاعتهم في حياتهم كتوسل الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء وتوسلهم بالعباس وبيزيد ابن الاسود وتوسل الاعمى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته له وكما ثبت في الصحيحين من قصة الثلاثة الذين آووا الى الغار فانطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا الى الله بصالح اعمالهم فهذا مما لا نزاع فيه بل هو من الامور المشروعة وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وأما التوسل بذوات المخلوقين فلا دليل عليه ولا قاله احد من الصحابة والتابعين ولم ينقل عن السلف الا ما يناقض ذلك ولا نص غير واحد من العلماء على ان هذا لا يجوز ونقل عن بعضهم الجواز فذكر الحنابلة في باب الاستسقاء انه يباح التوسل بالانبياء والصالحين ونقل بعضهم الكراهة وروي عن الامام احمد جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم وروي عن الامام مالك الكراهة كما أفاده الشيخ زروق في قواعد التصوف) وقال العز ابن عبد السلام لا يجوز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر الحنفية في متونهم في باب الحظر والاباحة ان قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والاولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد وقد علموا ذلك بقولهم لانه لا حق للمخلوق على الخالق. قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن البكري: وما زلت أبحث وأكشف ما امكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء هل جوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء او فعل ذلك احد منهم فما وجدته ثم وقفت على فتيا للفقيه ابي محمد ابن عبد السلام أفتى بانه لا يجوز بغير النبي صلى الله عليه وسلم واما النبي فجوز التوسل به ان صح الحديث في ذلك وذكر القدوري في شرح الكرخي عن ابي حنيفة وابي يوسف لا يجوز ان يسأل الا به انتهى كلامه وذكر ابن القيم رحمه الله عن ابي الحسين القدوري نحو ذلك فقال قال القدوري قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف قال قال ابو حنيفة لا ينبغي لاحد أن يدعو الله الا به واكره ان يقال بمعاقد العز من عرشك او يقول بحق خلقك وهو قول ابي يوسف قال ابو يوسف بمعقد العز من عرشك هو الله فلا اكره ذلك واكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام قال القدوري المسئلة بحقه لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق فلا يجوز يعني وفاقا وقال البلدجي في شرح المختار ويكره ان يدعو الله الا به فلا يقول اسئلك بفلان او بملائكتك او انبيائك او نحو ذلك لانه لا حق للمخلوق على الخالق انتهى وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن ابي حنيفة انه قال لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به والدعاء الماذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) اه

قال الألوسي وانت تعلم ان الادعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الائمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة صلى الله تعالى عليه وسلم ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف اي بدعاء او شفاعة نبيك كما سمعت او نحو ذلك كما ستسمع ان شاء الله تعالى ومن ادعى النص فعليه البيان اه وجنح الشوكاني الى رأي المجوزين قائلا ان التوسل الى الله باهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا باعماله فاذا قال القائل اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ماقام به من العلم اه وليته اقتصر على النص كما هي عادته رضي الله عنه فان المقام خطر جداً فكم تولد من ذلك من البدع والخروج الى الاشراك! وأما قوله انه توسل بأعمالهم الصالحة الخ ففيه نظر فان نفعها لهم كما سيأتي بيانه من أنه لابد من سبب حاضر ظاهر بين السائل والمسئول به فتأمل قال بعض فضلاء الهند بعد سياق كلام الشوكاني وأحوط الاقوال وأصح الافعال القصر على الوارد ان صح لان اكثر الخلق لا يعلمون مايدخل في هذا من الشرك كيف والشرك أخفى من دبيب النمل كما ورد بذلك الحديث اه وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية بأن التوسل بمجرد ذوات الانبياء والصالحين غير مشروع وانه سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب بخلاف من كان طالبا بالسبب المقتضي لحصول المطلوب كالطالب منه سبحانه بدعاء الصالحين وأعمال السائل الصالحة فلابد من سبب بين السائل وبينهم يوجب مقصوده وذلك بامرين إما بطاعته واتباعه لهم واما بدعائهم له وشفاعتهم له فمجرد سؤاله في دعائه بهم من غير طاعته واتباعه لهم ولا دعاء ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه

وان عظم جاه احدهم عند الله تعالى من المنازل والدرجات فانه امر يعود نفعه اليهم ولزيادة ايضاح هذا المقام ننقل ما كتبه شيخ الاسلام في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن السبكي قال رحمه الله واما قول القائل ان المتوسل انما هو سائل الله تعالى راج له عالم ان النفع والضر بيده لا شريك له وانما توسل اليه بمن يحبه الله تعالى لشرف منزلته عنده ليكون اقرب الى الاجابة وحصول المراد كطلب الدعاء من الرجل الصالح فيقال توسل العبد الى الله تعالى بما يحب لفظ مجمل فان اريد بما يحب الله تعالى ان يتوسل به اليه فهذا حق والله تعالى يحب ان يتوسل اليه بالايمان والعمل الصالح والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم ومحبته وطاعته وموالاته فهذه ونحوها هي من الامور التي يحب الله تعالى ان يتوسل بها اليه وان اريد انه يتوسل اليه بما يحب ذاته وان لم يكن هناك ما يحب الله تعالى ان يتوسل به فهذا باطل عقلا وشرعاً اما عقلا فلانه ليس في كون الشخص المعين محبوبا له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته اذا لم يكن مني ولا منه سبب تقضى به حاجتي فان كان منه دعاء لي او كان مني ايمان به وطاعة له فلا ريب ان هذه وسيلة وأما نفس ذاته المحبوبة لله تعالى فاي وسيلة لي فيها اذا لم يحصل لي السبب الذي امرت به فيها ولهذا لو توسل به من كفر به لم ينفعه والمؤمن به ينفعه الايمان به وهو أعظم الوسائل فتبين ان الوسيلة بين العباد وبين ربهم عز وجل الايمان بالرسل وطاعتهم وقول القائل للرجل ادع لي توسل بدعاء الصالحين وهو من جملة الاسباب النافعة كشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأما المشروع فيقال ان العبادات مبناها الاتباع لا الابتداع وليس لاحد ان يشرع من الدين مالم يأذن

الله به الا ترى انه ليس لاحد ان يصلي الى قبره صلى الله عليه وسلم ويقول هو أحق بالصلاة اليه من الكعبة وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام في الصحيح انه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها ومن لم يعتصم بالكتاب - والسنة ضل وأضل وليس في قوة كل أحد ان يفهم أسرار العبادات ومنافعها ومضار ما ينهى عنه من ذلك فعليه ان يسلم للشريعة ويعلم انها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها واذا رأى من العبادات التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع علم ان ذلك لضرر فيها راجح على نفعها ومفسدة راجحة على مصلحتها اذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح فان قال انا اذا توسلت بذاته انما يعملي المعلق به وذلك انه حي له وتعظيمي اياه توسلت به وهذا مما يحبه الله تعالى مني (قيل) حبك وتعظيمك له الذي هو من الايمان به وهو يدعوك الى زيادة الايمان به وطاعته وهو الذي يحبه الله تعالى منك وأما حبك وتعظيمك الذي لا تقصد به الا قضاء حاجتك الدنيوية فهذا لا يحبه الله تعالى منك فاذا كان الداعي لم يؤمن به ولم يطعه بل سأل الله تعالى به وتوسل به وأحبه وعظمه ليقضي حاجته بالتوسل به لم يكن ذلك مما يحبه الله عز وجل بالضرورة ولم يأمر الله تعالى بذلك بل لم يأمر الله تعالى الا بالايمان به والطاعة وهذا اذا حصل كان أعظم الوسائل للعبد عند الله عز وجل وان لم يحصل فلا وسيلة للعبد عند الله تعالى اهـ وقال رحمه الله في بعض فتاويه وهذا أي ما قصده النبي صلى الله عليه وآله من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد واخلاص الدين لله رب العالمين » ما يظهر به الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والرجل الصالح في حياته وبين

سؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك انه في حياته لا يعبده أحد بحضوره فاذا كان الانبياء صلوات الله عليهم والصالحون أحياء لا يتركون أحدا يشرك بهم بحضورهم بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه ولهذا قال المسيح عليه السلام (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ماشاء الله وشئت فقال «أجعلتني لله ندا ما شاء الله وحده» وقال لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد ولما قالت الجويرية (وفينا رسول الله يعلم مافي غد) قال دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين وقال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» ولما صفوا خلفه قياما قال لا تعظموني كما تعظم الاعاجم بعضهم بعضا وقال أنس لم يكن شيء أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ولما سجد له معاذ نهاه وقال انه لا يصلح السجود الا لله ولو كنت آمرا أحدا ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولما أتي علي بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الالهية أمر بتحريقهم بالنار فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه وانما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوا في الارض وفسادا كفرعون ونحوه ومشايخ الضلال الذين غرضهم العلو في الارض والفساد والفتنة بالانبياء والصالحين واتخاذهم أربابا والاشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم كما أشرك بالمسيح وعزير فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والصالح في حياته وحضوره وبين سؤاله في مماته

ومغيبه ولم يكن أحد من سلف الامة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ويسألونهم ولا يستغيثون بهم لافي مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك الحكوف اه فظهر لك مما قررناه وما نقلناه ان المشروع في التوسل بالانبياء والصالحين انما هو في حياتهم بدعائهم كما نقول للرجل الصالح ادع الله لنا وكما حصل في استسقاء الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ثم من بعده بعمه العباس ثم بالخيار من الناس في كل زمان ومكان الى يومنا هذا واما الميت فلا يطلب منه دعاء ولا غيره ولا يتوسل به في دعاء ولا غيره وستسمع الجواب عن تلك الدلائل الشتى التي ذكرها الهندي دليلا دليلا ولو سلم ان هناك دليل يشم منه رائحة التوسل بذات المخلوقين فلا يصار اليه ولا يقاس عليه ويجاب عنه بأنه على حذف مضاف أو أنه مؤول أو يؤتى به كما ورد ويكون من المتشابه فان السنة كالقرآن فيها المتشابه والمحكم فيرد متشابهها الى المحكم فكلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناقض ولا يضرب بعضه بعضا ويوافق القرآن ولا يناقضه وهذا أصل عظيم تجب مراعاته ومن أهمله وقع في أمر عظيم وهو لا يدري فقهنا الله وإياكم في الدين وجعلنا من عباده المخلصين ممن يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال ويميز القائل بالمقال لا المقال بالقائل

(قال الهندي الاول بالقرآن المجيد والفرقان الحميد فانظر الى تفسير الدر المنثور للعلامة جلال الدين السيوطي» : ثم ذكر ذلك الحديث المرفوع :

أقول ثبت الجدار ثم انقش واعرف الحديث وما قيل فيه وفي حال

راويه فليس كل مرفوع حجة كما انه ليس كل مستدير رغيفا، ولو كان ذلك الحديث صحيحا لقدمه جميع المفسرين على جميع الاقوال في تفسير تلك الكلمات ولو كانت للصحابة ولم يهمل ذكره ائمة التفسير المعول عليهم ولكنهم رأوه من الاسرائيليات واجمعوا على ضعف راويه فتركوه ورموه ظهريا، فان الحديث الصحيح عندهم هو ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة، وعلى فرض صحته فهو خبر آحاد لا يفيد اليقين بل يفيد الظن عند من صح عنده ولا تقوم به حجة على من قامت عنده الأدلة على عدم صحته ثم الحافظ السيوطي لم يلتزم الصحة في تفسيره الدر المنثور وقد اشتهر بالاكثار وقلما سلم مهذار حتى قال فيه بعضهم انه كحاطب ليل ربما كانت الافعى في حطبه وقد انتقده الحافظ السخاوي في الضوء اللامع وذلك لا ينقص من جلالة قدره وفضائله الجمة، فالسعيد من عدت سيئاته وحفظت غلطاته

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

وكيف احتج هذا الهندي بهذه الآية التي تحتمل جملة وجوه في تفسيرها كما ذكرها الجلال السيوطي؟ اما يعلم ان الدليل اذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال؟ فمن اي لفظ من الفاظ ذلك الحديث فهم الحصر في تفسير تلك الكلمات بها بانه لا يجوز تفسيرها الآية حتى يجعلها دليلا قاطعا لا احتمال فيه . نقول له ذلك كما قال لنا : من اي لفظ قتادة ومجاهد فهم الحصر » :

قال الهندي : « قال (اى السيوطي) في تفسير الكلمات قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اذنب آدم الذنب الذي اذنبه رفع

رأسه فقال اسئلك بحق محمد ان غفرت لي فاوحى الله اليه ومن محمد فقال تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لااله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد أعظم قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك لولاه ما خلقتك ـ هذا حديث حدثه من المحدثين ـ الطبراني ـ والحاكم ـ وابو نعيم ـ والبيهقي ».

اقول الذى في الدر المنثور خص الخامس ابن عساكر يرويه جميعهم عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن جده عن عمر ابن الخطاب يرفعه وليس عندي من كتب هؤلاء الحفاظ الا معجم الطبراني الصغير واسناده فيه هكذا : عن محمد بن داود بن اسلم الصدفي المصري عن احمد بن سعيد المدني الفهري ، عن عبد الله بن اسماعيل المدني عن الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن جده عن عمر بن الخطاب وبعد سياق المتن قال لا يروى عن عمر الا بهذا الاسناد تفرد به احمد بن سعيد اه قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن اه وقال بعضهم صححه الحاكم اه وفي تصحيحه نظر فليس كل ماصححه مقبولا قال المدراسي في (كشف الاحوال في نقد الرجال) ان عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ضعيف باتفاق وكذا في تقريب التهذيب قال العلامة احمد بن ناصر التميمي في جوابه على رسالة الفاضل اليمني محمد بن احمد الحفظي سنة ١٢١٧ مانصه : واما قول القائل فقد اخرج الحاكم في مستدركه وصححه ان آدم توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال احمد ابن حنبل ضعيف وقال ابن معين ليس حديثه بشيء وضعفه ابن المديني جدا وقال ابو داود أولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال النسائي ضعيف وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول ذكر رجل لمالك حديثا

فقال من حدثك فذكر اسنادا له منقطعا فقال اذهب الى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن ابيه عن نوح عليه السلام وقال ابو زرعة ضعيف وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهيا وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك وقال ابن سعد كان كثير الحديث ضعيفا جدا وقال ابن خزيمة ليس هو مما يحتج أهل العلم بحديثه وقال الحكم وابو نعيم روى عن ابيه احاديث موضوعة وقال ابن الجوزي اجمعوا على ضعفه . فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيد وهو كما تسمع وقال الشيخ تقي الدين في رده على ابن البكري واما قول القائل قد توسل به الانبياء آدم وادريس ونوح وايوب كما هو مذكور في كتب التفسير وغيرها فيقال مثل هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها باجماع المسلمين فان الناس لهم في شرع من قبلنا قولان احدهما انه ليس بحجه الثاني انه حجة مالم يأت شرعنا بخلافه بشرطان يثبت ذلك بنقل معلوم كاخبار النبي صلى الله عليه وسلم فاما الاعتماد على نقل اهل الكتاب او نقل من نقل عنهم فلا يجوز باتفاق المسلمين لان في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» وهذه القصص التى فيها ذكر توسل الانبياء بذاته ليست فى شيء من كتب الحديث المعتمدة ولا لها اسناد معروف عن احد من الصحابة وانما تذكر مرسلة كما تذكر الاسرائيليات التى تروى عمن لا يعرف وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضوع على ما نقل في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتكلمنا عليه وبينا بطلانه ولو نقل ذلك عن كعب

ووهب ومالك بن دينار ونحوهم ممن ينقل عن اهل الكتاب لم يجز أن يحتج به لان الواحد من هؤلاء وان كان ثقة فغاية ما عنده من كتاب من كتب اهل الكتاب او يسمعه من بعضهم فانه بينه وبين الانبياء دهر طويل والمرسل عن المجهول من أهل الكتاب الذى لا يعرف علمه وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين ومراسيل اهل زماننا عن نبينا صلى الله عليه وسلم لا تقبل عند العلماء مع كون ديننا محفوظا محروسا فكيف بما يرسل عن آدم وإدريس ونوح وأيوب عليهم السلام والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء وتوباتهم واستغفارهم وليس فيها شئ من هذا وقد نقل ابو نعيم فى الحلية ان داود عليهم السلام قال يارب اسألك بحق آبائي عليك ابراهيم وإسحاق ويعقوب فقال «ياداود أي حق لآبائك علي» فان كانت الاسرائيليات حجة فهذا يدل على أنه لا يسأل بحق الانبياء وان لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الاسرائيليات انتهى فبين رحمه الله أنه لم يصح في هذا شيئ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما روي في ذلك باطل لا أصل له اه

وأما ما رواه ابن حميد الرازي من الحكاية المنسوبة الى مالك رحمه الله مع أبي جعفر المنصور وفيها أنه سأل مالكا فقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فقد رد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية وذكروا ان إسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يتهم بالكذب وقالوا ابن حميد كثير المناكير ولم يسمع من مالك شيئاً بل روايته عنه منقطعة ومحمد بن حميد الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الائمة ونسبه بعضهم الى الكذب

فقال يعقوب بن شيبة السندوسي محمد بن حميد الرازي كثير المناكير وقال حديثه فيه نظر وقال النسائي ليس بثقة وقال الجوزجاني رديء المذهب غير ثقة وقال الرازي عندي عنه خمسون الف حديث لا أحدث عنه بحرف وقال ابن الازهري سمعت اسحاق بن منصور يقول أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن اسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان وتكلم فيه غير هؤلاء من الحفاظ اه

قال الهندي « بهذا علم أن التوسل بالانبياء محبوب عند الله يجاب به الدعاء هو شيء علمه الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام »

أقول بما قدمناه علم أن ما ذكره لا يحصل به العلم بهذه النتيجة ولو كان التوسل محبوبا عند الله لكان محبوبا عند رسوله وأصحابه والتابعين وتابعيهم ولكثر في كلامهم وكان شائعا في تلك القرون الفاضلة ولتوفرت الدواعي على نقله واستفاض استفاضة لم يحتج معها الى ايراد حديث معلول شاذ أو ما في معناه احتمال وقد سمعت نصوص الحنفية في المنع من اطلاق لفظة بحق أنبيائك وأما قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الخارج الى الصلاة « أسألك بحق السائلين وبحق ممشاي الخ فرواه عطية العوفي وفيه وهن قال الحافظ ابن حجر ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح وعلى تقدير ثبوته فهو من باب التوسل باسماء الله وصفاته فان حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم وحق المطيعين له ان يثيبهم وحق الانبياء أن يقربهم ويتفضل بما يخصهم فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به وذلك من أفعال الله فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله تعالى على نفسه كما قال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وكما في حديث

معاذ «حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذبهم» ولا يصلح أن يجعل ما في هذا الحديث من باب التوسل بالاعمال الا قوله واسألك بحق ممشاي لان المشي الى الطاعة امتثالا لامر عمل طاعة وهو سبب في حق السائل

(قال الهندي وهذا التوسل والاستمداد من آدم كان قبل ولادة نبينا صلى الله عليه وسلم الوف سنين كيف لا يجوز بعد الولادة وبعد ارتحاله عليه الصلاة السلام من دار الدنيا الى دار البقاء ورد في الحديث الصحيح) والأنبياء أحياء يصلون في قبورهم» : أقول انظر الى هذه النتائج المترتبة بعضها على بعض استنباطا من ذلك الحديث المرفوع فلله دره ما اقدره على ايراد هذه الحجج الساطعة والبراهين القاطعة وكيف سوى بين حاله صلى الله عليه وسلم في الدنيا وحاله بعد انتقاله عنها بحديث «الانبياء احياء يصلون في قبورهم» فهل يقول انهما متساويان في كل شيء اظنه لا يقول ذلك لما يترتب عليه من الاحكام الكثيرة كما لا يخفى على من له ادنى بصيرة فان حياة الانبياء في قبورهم برزخية فوق حياة الشهداء لا تقتضي لوازم الحياة الدنيوية من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك وتلك الصلاة ليست بحكم التكليف بل بحكم الاكرام لهم والتشريف من قبيل الاحوال البرزخية كسؤال الملكين ونعيم الميت وعذابه مما لا يرى وان كان الميت مرئيا فأحوال البرزخ لا تقاس على أحوال الدنيا واما كونه صلى الله عليه وسلم مر ليلة المعراج على موسى فرآه يصلي فذاك أمر خارق للعادة وقد تقدم بعض الكلام على حياة الانبياء في المقدمة من ما قاله الامام صنع الله الحلبي الحنفي وقد كثر البحث فيها عند بعض المتأخرين وهم في غنية عنه

فانهم يثبتون التصرف للاولياء بعد مماتهم معتقدين أنهم أقوى حالا مما كانوا في حياتهم لصفاء أرواحهم وتخلصها من كثافة أجسامهم

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وحيث قد ظهر الفرق للمؤمن المتشرع بين حياته صلى الله عليه وسلم الدنيوية وحياته البرزخية فانه يمنع من الطلب منه صلى الله عليه وسلم ومن غيره ممن كان في البرزخ لانه عبادة لا تليق لمن اتصف بالعبودية ولا يتوسل به صلى الله عليه وسلم ولا بغيره اقتداء به وبصحابته من بعده بل يتوسل بالايمان به وبمحبته ومتابعته ثم انظر الى قول الهندي (والاستمداد) اي طلب المدد وا كثر ما يستعمل هذا اللفظ في جانب المشايخ المعظمين فيقال استمداد منهم ويقال (مدد ياشيخ) وأظنه لم يسر الى الناس الا من الهند فانهم يقولون للمعاون لرجل من رجال الحكومة (مدد كار) فيخرج هذا وأمثاله من التوسل الى الاستمداد ومن الاستغاثة بالغير الى الاستغاثة من الغير وبالجملة فانهم يطلبون من غير الله من الأموات ويسمون ذلك الطلب توسلا واستغاثة وكلامنا الآن في التوسل بالانبياء والصالحين الى الله بتوجيه الطالب منه سبحانه وتعالى

٤ — ﴿قال الهندي: والثاني اخرج الترمذي بسند صحيح ان عثمان بن حنيف قال ان رجلا أعمى جاء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وشكى ذهاب بصره قال ادع الله لي ان يعطيني البصارة قال النبي صلى الله عليه وسلم لو شئت أدعو الله ولو شئت فاصبر والصبر خير لك قال الرجل يارسول الله ادع الله قال النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وأحسن الوضوء ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يامحمد اني توجهت بك الى ربي

في حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه في» وردفي: الحديث انه لما مسح يديه على وجهه صار أبصر من الاول﴾

أقول الذي في سنن الترمذي مانصه حدثنا محمود بن غيلان نا عثمان ابن عمر نا شعبة عن ابي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه قال فامره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث ابي جعفر وهو غير الخطمي اه وفي نسخة أخرى اني توجهت به الى ربي وقد رواه النسائي في اليوم والليلة والبيهقي وابن شاهين في دلائلهما كلهم عن عثمان بن حنيف وساقوه بقريب من سياق الترمذي وليست فيه لفظة يا محمد وقد ساقه الهندي بما سمعت من التحريف والكذب شأن القصاصين وقد سبقت الاشارة الى الجواب عنه بانه من باب التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما في الاستسقاء فان قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد على حذف مضاف اي بدعائه وشفاعته كما يقتضيه السياق قال العلامة المناوي سأل الله اولا أن يأذن لنبيه ان يشفع ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم ملتمسا شفاعته له ثم كر مقبلا على ربه ان يقبل شفاعته اه قال في اقتضاء الصراط المستقيم فعلم ان ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب

منه شيء لادعاء ولا غيره وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ليرد عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه ان يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه فهذا يدل على ان النبي شفع فيه وأمره ان يسأل الله قبول شفاعته وان قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد ثم قال يامحمد يارسول الله اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضيها اللهم فشفعه في فطلب من الله ان يشفع فيه نبيه وقوله يامحمد يانبي الله هذا وأمثاله نداء ويطلب به استحضار المنادى فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب انتهى

وأما ماروي من ان عثمان بن حنيف راوي هذا الحديث علم هذا الدعاء لمن كان له حاجة عند عثمان زمن امارته بعده صلى الله عليه وسلم وعسر عليه قضاؤها وفعله فقضاها فذلك رأي من عثمان بن حنيف قصدا للتبرك بالفاظ النبي صلى الله عليه وسلم من غير قصد استغاثة في الشفاعة ان صحت تلك الرواية فان في سندها مقالا بل قال بعضهم ان امارات الوضع لائحة عليها وقد علمت ان الحديث اذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به ولو رواه العدل الضابط عن مثله . ومن احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصوص الكتاب والسنة وعمل الصحابة ومن بعدهم مع انه ليس فيه دعاء بل هو توسل بنداء الحاضر والدعاء أخص من النداء فليس كل نداء دعاء اذ الدعاء نداء عبادة متضمن للسؤال والطلب

من المنادي لجلب نفع أو دفع ضر ولو بقرينة المقام كأن يقول من أشرف على هلاك كالغرق مثلا يا الله فهذا دعاء المضطر. فكيف يدعو المضطر غير الله فيقول يا فلان في ذلك المقام والله يقول (أم من يجيب المضطر اذا دعاه) وكيف يحتج العالم بذلك الحديث على جوازه وقد سمعت ما قررناه وكيف يكابر بأن هذا القائل لا يعتقد النفع والضرر فيمن ناداه وهو يعتقد بانه يسمع صوته ولو كان في الشرق والمنادي بالغرب وانه يعلم مانزل به من الشدة وما حل به من الكربة أفلا يكون نافعاً لمن يعتقد فيه انه يعلم علم الغيب (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ونبينا مع كونه سيد ولد آدم وحيا في قبره لا يعلم الغيب وهو لا يعلم الغيب في الدنيا فكيفما بعد وفاته كما هو مبسوط في كتب الفقه فكيف يقول هذا العالم ان ذلك مجاز اسنادي وان قرينته الاسلام وهو لا يمكنه انكار ماسبق ثم يقرأ كل يوم في الكتب الفقهية ويقرر في باب الردة الفاظا يكفر الناطق بها بمجرد التلفظ بها من غير اعتبار المجاز وتلك القرينة التي صارت له قرينة فهو اما جاهل أو متجاهل بما صرف ذلك القائل (يا فلان) من العبادات الخاصة به تعالى الى غيره والحال ماذكر فوالله ان العامي الذكي ليدرك ذلك بفطرته السليمة لو رجع اليها وخلي بينه وبينها فقد حكي ان شاميا من العوام كان في سفينة لعبت بها الامواج واشرفت على الغرق فقام الناس يصيحون وينادون من أعماق قلوبهم يارفاعي ياجيلاني يابدوي فرفع ذلك الشامي طرفه الى السماء وقال (ياسيدي غرق غرق الناس نسيوك ياسيدي غرق غرق الناس ما بيعرفوك) وقد قص الله عن كفار قريش بأنهم اذا كانوا في الفلك وهاج عليهم البحر دعوا الله مخلصين واذا نجاهم الى البر أشركوا

على عكس القصة السابقة قال شيخ الاسلام ابن تيمية من جوز ان يطلب من المخلوق كما يطلب من الخالق من كشف الشدائد فكفره شر من كفر عباد الاصنام فانهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله كما قال (قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله أو اتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين * بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) فبين سبحانه انه اذا جاء عذاب الله أو اتت الساعة لا يطلبون الا الله في كشف الشدائد وجلب الفوائد وقال (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) قال وقد وقع في كثير من ذلك ما وقع من العامة وغيرهم اه

بقي هنا حديث آخر غير حديث الاعمى يحتج به المغرورون للجهال على جواز دعاء الميت والغائب وهو الوارد في اذكار السفر «اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فلينادي ياعباد الله احبسوا فان لله حاضرا سيحبسه» فيجاب عنه بانه حديث ضعيف وذكر بعض العلماء انه حديث منكر فانه من رواية معروف بن حسان وهو منكر الحديث كما قاله ابن عدي ومع ذلك فهو لا يدل على دعاء الميت والغائب لانه قال فيه ان لله حاضرا سيحبسه فالمنادى حاضر حي وكله الله بهذا الامر وهو من عباده الذين لا نعلمهم وما يعلم جنود ربك الا هو وكل عاقل يتيقن أنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بمنادات من لا يسمع ولا يعين من ناداه فلا يعارض هذا الحديث الكتاب والسنة المانعين من صرف الدعاء لغيره تعالى ولا يعرف عن أحد من أهل العلم والايمان الذين لهم لسان صدق في الامة ولم تأت به شريعة من الشرائع بل المنقول عن جميع الانبياء ما يرده ويبطله كما في الكتاب العزيز قال العلامة ابن القيم رحمه الله ومن أنواعه أي الشرك طلب الحوائج

من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن استغاث به أو سأله ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده اه وقد أطلنا الكلام في هذا المقام لان هذا الهندي واضرابه يسمون ذلك توسلا وينصبون أنفسهم للدفاع عنه تحلاعاملهم الله بعدله كما جنوا على التوحيد واهله اه

(قال الهندي والثالث روى الدارمي عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدنية قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضي الله عنها فقالت فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمن الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق)

أقول نعم ذكره الدارمي في باب ما أكرم الله نبيه بعد موته . قال في مجمع البحار كوى الى السماء اي منافذ جمع كوة بفتح كاف وضمها قيل سببه ان السماء لما رأت قبره بكت وسال الوادي من بكائها لقوله تعالى (فما بكت عليهم السماء) وقيل استشفاع بقبره صلى الله عليه وسلم اه فهذا من مشكل الآثار المتشابهة التي لا يحتج بها فان الاستسقاء المأثور جار بالمدينة المنورة من عهده صلى الله عليه وسلم الى هذا العهد مع ان عائشة كانت في الحجرة ويدخل اليها من الباب وبعد ذلك بني الحائط الآخر ولم يذهب احد من الصحابة الى القبر النبوي يستسقي عنده ولا به ولو كان لنقل واستفاض ولم نحتج الى حديث واحد فيه مافيه . وقد روى خالد ابن دينار عن أبي العالية كما ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير

عن ابي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا ابو العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فاخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فانا أول رجل من العرب قرأه قرءة مثل ما أقرأ القرآن قال خالد فقلت لابي العالية ما كان فيه قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان بالليل دفناه وساوينا القبور كلها مع الارض لئلا يعميه عن الناس لا ينبشونه فقلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له (دانيال) فقلت منذ كم وجدتموه قد مات قال منذ ثلاثمائة سنه قلت ما كان تغير منه شيء قال لا الا شعرات من قفاه ان لحوم الانبياء لا تبلها الأرض ولا تأكلها السباع فلو كان الاستسقاء بقبور الانبياء ثم بمن يليهم جائزاً او فضيلة لنصب عليه علما أولئك المهاجرون والانصار ولم يعموا قبره لئلا يفتتن الناس به لما أعلموا من استسقائهم به ولكنهم كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلائف التي خلفت بعدهم فما زالت الصحابة تسد الذرائع كما في هذه القصة وكما فعل عمر رضي الله عنه من قطع الشجرة التي بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك التابعون لهم باحسان درجوا على سبيلهم فقد كان عندهم من قبور الصحابة عدد كثير في الامصار فما منهم من استغاث بها ولا دعا عندها ولا استسقى بها ولا استنصر ولو كان لتوفرت الدواعي على نقله وبعد كتابتي لما تقدم رأيت في تتمة منهاج التأسيس للعلامة محمود شكري الالوسي ما نصه بعد ذكر عائشة رضي الله عنها والجواب

ان يقال لا دليل في هذه الحكايه على ما قصده العراقي من جواز نداء غير الله تعالى لانه لا نداء فيها بل فيهم ان الله رحم أهل الارض لما كشفت عن مرقده صلى الله عليه وسلم بحيث يصله القطر من المطر كما ان من خواص اجسام الانبياء جميعا اذا كشفت نزول المطر عليها ولا يقتضي مثل ذلك نداءهم ودعاءهم في الشدائد وكذلك من خواصها عدم أكل الارض إياها ولا يقتضي ايضا دعاءها ولو جاز استسقاؤه صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة لما عدل عمر الى العباس كما سبق قريباً هذا كله لو سلمنا صحة مثل هذه الحكايه واذا لم تصح فالمنع أظهر والجواب أحق اه ثم رأيت في اقتضاء الصراط المستقيم ما نصه واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجدبو امرأت ودهتهم نوائب غير ذلك فهلا جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به ولم يستسق عند قبر النبي صلى الله عليه بل قد روي عن عائشة رضي الله عنها انها كشفت عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لينزل المطر فانه رحمة تنزل على قبره ولم تستسق عنده ولا استغاثت هناك (وهذا) لما بنيت حجرته على عهد التابعين بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم تركوا في اعلاها كوة الى السماء وهي الى الآن باقية فيها موضوع عليها شمع على اطرافه حجارة تمسكه وكان السقف بارزا الى السماء وبني ذلك لما احترق المسجد والمنبر سنة بضع وخمسين وستمائة وظهرت النار بأرض الحجاز التي اضاءت لها اعناق الأبل ببصرى وجرت بعدها فتنة الترك ببغداد وغيرها ثم عمر المسجد والسقف كما كان وأحدث حول الحجرة الحائط الخشب ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت العتبة على السقف وأنكره من كرهه على انا قد رويناه في مغازي

محمد بن اسحاق من زيادات يونس بن بكير عن ابي خلدة خالد بن دينار ثم ساق القصة السابقة فتأمل قال المراغي وفتح الكوة عند الجدب سنة اهل المدينة يفتحون كوة في اسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف والسماء قال السمهودي وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف اه اي والكوة مسدودة

(قال الهندي: « والرابع روى البيهقي وابن ابي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر قال أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائت عمر فاقرئه السلام فاخبره فانهم يسقون وقل عليك الكيس الكيس فاتى الرجل عمر رضي الله عنه فاخبره فبكى عمر وقال يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه »:

اقول في هذه الرؤيا المنامية حجة على هذا الرجل وأمثاله فانه صلى الله عليه وسلم لم يقل أنا أستسقي لكم بل أمر عمر ان يستسقي بالناس لكن قال بعضهم ان الذي رأى هذا المنام بلال بن الحارث فاتى به بعض المدلسين في الحديث بدل رجل فاسباله الى البيهقي وابن ابي شيبة ثم قال وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائي وانما الاستدلال بفعل بلال بن الحارث في اليقظة فانه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاتيانه لقبر النبي صلى الله عليه وسلم وندؤه له وطلبه ان يستسقي لامته دليل على ان ذلك جائز ؛ فيالله العجب كيف انفرد هذا الصحابي بعمله هذا عن سائر الصحابة ولم لم يتواردوا على قبره صلى الله عليه وسلم ويلتجؤا اليه

في جميع مانزل بهم من المصائب فعلى هذا البعض اثبات شبه ذلك الى بلال ابن الحارث بالسند الصحيح ان صح فلنا فيه كلام اما المروي عن البيهقي وابن أبي شيبة فهو فعل رجل مجهول كما ذكره الهندي وغيره لا يعرف اسمه فضلا عن حاله والمدينة في ذلك الزمان يردها اهل الآفاق من العرب والعجم والحاضرة والبادية وفعله مخالف لما عليه الصحابة رضي الله عنهم ولو كان هنا غير هذا الرجل المجهول لأورده هذا وأمثاله ممن كلفوا انفسهم الانتصار للقبوريين قال شيخ الاسلام ابن تيمية واما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسئل لنا ربك ولم يفعل هذا احد من الصحابة والتابعين ولا أمر به احد من الائمة ولا ورد فيه حديث بل الذي ثبت في الصحيح انهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ولم يجيئوا الي قبر النبي صلى الله عليه وسلم قائلين يارسول الله ادع لنا واستسق لنا ونحن نشتكي اليك مما اصابنا ونحو ذلك لم يفعل ذلك احد من الصحابة قط بل هو بدعة ماانزل الله بها من سلطان اه

وقال في (اقتضاء الصراط المستقيم) في بحث شبه المجوزين قصد القبور للدعاء عندها من بعض المتأخرين بعد المائة الثانية مانصه : فهذه الآثار اذا ضمت الى ما قدمناه من الآثار علم كيف كان حال السلف في هذا الباب وان ما عليه كثير من الخلف في ذلك من المنكرات عندهم ولا يدخل في هذا الباب مايروى ان قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي صلى الله عليه وسلم او قبور غيره من الصالحين وان سعيد بن المسيب كان يسمع

الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك فهذا كله حق ليس مما نحن فيه والامر اجل من ذلك واعظم وكذلك ايضاً ما يروى ان رجلا جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يامره ان يأتي عمر فيامره ان يخرج يستسقي بالناس فان هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم وأعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم او لغيره من امته حاجته فتقضي له فان هذا قد وقع كثيراً وليس مما نحن فيه وعليك ان تعلم ان اجابة النبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره لهؤلاء السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال فانه هو القائل صلى الله عليه وسلم ان احدكم ليسألني المسألة واعطيه اياها فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يارسول الله فلم تعطهم قال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضطرب ايمانهم كما ان السائلين له في الحياة كانوا كذلك وفيهم من اجيب وامر بالخروج من المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما أنه يدل على حسن حال السائل فلا فرق بين هذا وهذا انتهى

٨ قال الهندي: « روى الحافظ ابو سعد السمعاني عن علي رضي الله عنه ان أعرابياً جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بثلاثة أيام فبكى بكاء شديدا حتى خر ثم اخذ تربة من قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعله على رأسه وقال يا رسول الله أطعتنا ما بلغتنا من كلام الله وحفظناه وفيه (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر انه قد غفر لك

أقول كان ينبغي عليه ان يجعل هذا دليلا خامساً مستقلا فأخطأ في درجة الدليل الرابع مع مافيه من تحريف الرواية عما نقله بعضهم وقد قال الحافظ ابن عبدالهادي إن هذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير اليه واسناده ظلمات بعضها فوق بعض ثم تكلم على بعض رجاله ثم قرر معنى الآية أحسن تقرير كما سيأتي. وهذه الحكاية يرويها بعضهم عن العتبي بلا اسناد بزيادة بيتين ويرويها بعضهم عن غيره بألفاظ مختلفة قال الحافظ المذكور وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة مما تقوم بها حجة وإسنادها مظلم مختلق ولفظها مختلف أيضاً، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على المطلوب ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم اه قال في اقتضاء الصراط المستقيم بعد ذكر حكاية العتبي واستحباب طائفة من متأخري الفقهاء مثل ذلك مانصه: واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي لاسيما في مثل هذا الامر (بل) قضاء الله تعالى حاجة مثل هذا الاعرابي لها أسباب قد بسطت في محلها وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون مشروعا مأموراً به فقد كان عليه الصلاة والسلام يسئل في حياته المسألة فيعطيها وتكون محرمة في حق السائل حتى قال (اني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا) قالوا يا رسول الله فلم تعطيهم؟ قال (يأبون الا أن يسألوني ويأبى الله تعالى لي البخل) وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما أنه منهي عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه (وهذا) باب واسع وعامة العبادات المبتدعة المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل بها نوع من الفائدة وذلك لايدل على انها مشروعة

لو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها لما نهي عنها ثم الفاعل قد يكون متأولا أو مخطئا مجتهداً أو مقلدا فيغفر له خطأه ويثاب على مايفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالمجتهد المخطيء وقد بسط هذا في غير هذا الموضع اه

وأما الآية الشريفة فقال الحافظ ابن عبد الهادي لم يفهم احد من السلف ولا الخلف الا المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء اذا ظلم نفسه وأخبر انه من المنافقين فقال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية انما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الاشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم ثم لم يجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فان المجيء اليه ليستغفر له توبة وتنصل من الذنب وهذه كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم ان أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء اليه فقال يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين فلما استأثر الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه وسلم ونقله من بين أظهرهم الى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتي الى قبره ويقول يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ومن يقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت وافترى على الصحابة والتابعين وهم خير القرون على الاطلاق هذا الواجب الذى ذم الله سبحانه وتعالى من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من امارات النفاق ووفق له من لا توبة له من الناس ولا يعد في اهل العلم وكيف أغفل هذا الامر

أئمة الاسلام وهداة الانام من اهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق في الامة فلم يدعوا اليه ولم يحضوا عليه ولم يرشدوا اليه ولم يفعله احد منهم البتة بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية ولما كان هذا المنقول شجى في حلوق البغاة وقذى في عيونهم ورية في قلوبهم قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل ومن استحى منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل ويأبى الله الا أن يعلي منار الحق ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد وتقوم الحجة على المعاند فيعلي الله بالحق من يشاء ويضع برده وبطره وغمط أهله من يشاء ويا لله العجب كان ظلم الامة لانفسها ونبيها حي بين أظهرها موجود وقد دعيت فيه الى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء فلما توفي صلى الله عليه وسلم ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم الى المجيء اليه ليستغفر له (وهذا) يبين ان هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعا (ولو) كان حقا لسبقونا اليه علما وعملا وارشادا ونصيحة ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للامة فان هذا يتضمن انهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى اليه هذا المعترض المستأخر فكيف اذا كان للتأويل يخالف تأويلهم وينافضه وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده وانما ننبه عليه بعض التنبيه

ومما يدل على بطلان تأويله قطعا انه لا يشك مسلم ان من دعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض

عن المجيء واباه مع قدرته عليه كان مذموما غاية الذم مغموصا بالنفاق ولا كذلك من دعي الى قبره ليستغفر له ومن(١) بين الامرين وبين المدعوين وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل وقال على الله ورسوله وأمناء دينه غير الحق . وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو انه سبحانه صدرها بقوله (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) وهذا يدل على ان مجيئهم اليه ليستغفروا اذ ظلموا انفسهم طاعة له ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم ان على من ظلم نفسه بعد موته ان يذهب الى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة وهذا بخلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفى الايمان عمن لم يحكمه وتحكيمه هو تحكيم ماجاء به حيا وميتا ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك انه قال «لا تجعلوا قبري عيداً» ولو كان يشرع لكل مذنب ان يأتي قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين وهذه مضادة صريحة لدينه وما جاء به اه

ثم قال وأما قول المعترض :واما الآية وان وردت في اقوام معينين في حال الحياة فانها تعم بعموم العلة :فحق فانها تعم ماوردت فيه وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه وجاءه كذلك واما دلالتها على المجيء اليه في قبره فقد عرف بطلانها وقوله وكذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين فيقال له من فهم هذا من سلف الامة وائمة الاسلام فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة او التابعين اوتابعي التابعين او الائمة

(١) لعله سقط من هنا كلمة (ساوى) أو كلام بمعناها

الاربعة او غيرهم من الائمة واهل الحديث والتفسير انه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته او عمل به او ارشد اليه فدعواك على العلماء بطريق العموم هذا الفهم دعوى ظاهرة البطلان وأما حكاية العتبي التي اشار اليها فانها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين وليست بصحيحة ولا ثابتة الى العتبي وقد رويت عن غيره باسناد مظلم كما بينا ذلك فيما تقدم وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي لا سيما في مثل هذا الامر الذى لو كان مندوبا لكان الصحابة والتابعون اعلم به وأعمل به من غيرهم وبالله التوفيق اه

فان قيل قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم» فالجواب ان حال الوفاة لا تقاس على حال الحياة وانه لا يعلم حال البرزخ الا الله ولا نزيد على ما شرع لنا ولم يشرع لنا طلب الاستغفار منه بعد وفاته ولو كان مشروعا لبادر اليه الصحابة والتابعون وتابعوهم ولم ينقل عنهم من ذلك حرف واحد ومن لا يسعه ما وسعهم فلا وسع الله عليه

قال الهندي «والدليل الخامس قال الامام القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ان التوسل بحضور النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة في عالم البرزخ ثابت بطرق كثيرة ثم الامام الممدوح يكتب قصة ويقول كان لي داء عجز عنه الاطباء الحاذقون كم سنين مضيت علي هذا قال اقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاثة وتسعين وثمانمائة بمكة زادها شرفا ومن علي بالعود اليها في عافية بلا محنة فبينما أنا نائم اذا رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء

لداء احمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن من النبي ثم استيقظت فلم اجد بي والله شيئا مما كنت اجده شيئا ببركة النبي صلى الله عليه وسلم»:

اقول نص عبارة المواهب اللدنية هكذا (واما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصاء) وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام في اليقظة والمنام للشيخ ابي عبدالله النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لي) ثم ذكر قصته السابقة وغيرها فانظر كيف حرف عبارة القسطلاني حتى في المعنى وهل في ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع؟ هذا مما يحقق ان هذا الرجل من اجهل القصاصين وقد ذكر في كشف الظنون حكاية عن القسطلاني تدل على تدليسه في النقل اما قول القسطلاني فهو محل النزاع واما ما وقع له من الشفاء في المنام وكذا لغيره فلا يصلح للاستدلال فضلا عن ان يكون دليلا قطعيا فليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي ان يكون مشروعا مأمورا به كما تقدم بيانه. وهنا نكتة طبية وهي ان الوهم اكبر عامل في الانسان وهو عند ظنه بنفسه قوي تخيل المريض ان شفاءه يكون في الشيء الفلاني انصرفت نفسه اليه وانفتحت مسامه لتلقيه بأدنى مناسبة وانبعث دمه في جسمه لذلك وربما كان الوهم قاضيا على الصحيح كما هو مشاهد في أيام الوباء ثم اعلم أن كل من تعلق قلبه بشيء وشغف به أكثر من ذكره وشخصه في جميع أحواله ورآه في منامه على حسب استعداد خياله فينسج الحلم له أشياء عجيبة كما نرى ممن يغالي في شيخه أو وليه ومعتقده من أهل كل ملة ينسب اليه كل ما حصل له من خير أصابه أو فرج من كرب نابه ويجعل كل ما صادفه من النجاح في أموره كرامة

لمن يعتقده ويذكر له المرائي الطويلة العريضة دون غيره كما أن الطالب المشغوف بكتابه والبحث فيه لا يرى في نومه إلا تصفح أوراقه والجدال مع رفقائه وربما انحل له الاشكال في منامه قال الرئيس ابن سينا في ترجمته عن نفسه ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى ان كثيرا من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام اه وذلك أن النائم انما يحلم بالامور التي مرت عليه يقظة او قامت خيالاتها في ذهنه او خطرت بفكره او الامور التي اعتاد الخوف منها او الفرح بها. فالاحلام مرآة أفكار الانسان وصور تأثرات عقله وربما دلت على اعتدال مزاجه او اعتلاله. ولسنا ننكر الرؤيا الصالحة ولكنا نقول لا ينبني عليها حكم شرعي لانها قد تشتبه على الرائي او تكون من تحزين الشيطان او مما يحدث به الرجل نفسه كما في الحديث وقد ذكر شيخ الاسلام في كتاب الفرقان شيئاً كثيراً من الاحوال الشيطانية مما يعترف به ارباب الدين قال رحمه الله تعالى ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق اما حي او ميت سواء كان ذلك الحي مسلما او نصرانيا او مشركا فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث فيظن انه ذلك الشخص او هو ملك على صورته وانما هو شيطان اضله لما اشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل الاصنام وتكلم المشركين ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له انا الخضر وربما اخبره ببعض الامور وأعانه على بعض مطالبه كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ثم ذكر أموراً غريبة وقد ذكر الحكيم البيروني في تاريخ الهند ما نصه (وتوجد رسالة لارسطوطاليس في الجواب عن مسائل

للبراهمة انفذها اليه الاسكندر اما قولكم ان من اليونانيين من ذكر أن الاصنام تنطق وانهم يقربون لها القرابين ويدعون فيها الروحانية فلا علم لنا بشيء منه ولا يجوز أن نقضي على ما لا علم لنا به فانه ترفع عن رتبة الاغبياء والعوام وإظهار أنه لا يشتغل بذلك اه وانما استرسل القلم في ذلك لاسترسال الناس في هذا الباب حتى انه كل يوم يبدو لنا فيه كتاب وأظن ان أول من ألف في ذلك صاحب مصباح الظلام ذكر في خطبته انه لما رأى كثيراً من العلماء الفوا كتبا كثيرة فيمن استغاث بالله وحصل له الفرج بعد الشدة قصد أن يذكر ما وقع ممن استغاث بالنبي صلى الله وسلم ولاذ به لما قفل مع الحاج سنة ٦٣٩ والله اعلم

قال الهندي : « السادس قد ثبت في كتب الاحاديث بسند صحيح ان في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه لما قحط الناس ولم يمطروا كان عمر رضي الله عنه بحضور الصحابة كلهم يتوسل بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله بالالفاظ المندرجة في الذيل اللهم اسقنا بعم نبيك فيقول الراوي فيسقوا حتى لم يدخلوا في المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغ منزلا قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضله انطق الله الحق عمن على لسان عمر » :

أقول نعم أنطق الله الحق على لسان عمر حتى في هذه المسئلة فحصل به فصل الخطاب عند ألا الباب فلو كان التوسل ولي به صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله من هذه الدار جائزا لما عدل عنه الفاروق الى التوسل بعمه العباس بحضور الصحابة رضي الله عنهم وهم في أمرهم فعدولهم هذا دليل واضح على ان المشروع ما سلكوه فما أحسن الحجة اذا برزت من فم الخصم فيكون حجة كما بها على نفسه . فان قال هذا الحديث يدل على التوسل بالذات قلنا نعم لكن مع

الدعاء في الاستسقاء كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم يتوسل أصحابه بدعائه وشفاعته لهم فيدعو ويدعون معه ويؤمنون على دعائه ثم استسقوا من بعده بعمه العباس كما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون وقد بين الزبير بن بكار صفة ما دعا به العباس فاخرج باسناده ان العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم انه لا ينزل بلاء الا بذنب، ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكانتي من نبيك وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث : فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الارض وعاش الناس كما في الفتح ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين لانهم أقرب الى الاجابة والافضل أن يكونوا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد توسل معاوية لما قحط أهل الشام بدعاء يزيد بن الاسود الجرشي التابعي الشهير لما اعتقد فيه الصلاح وقبول الدعوة قال اللهم انا نستشفع اليك بخيارنا يزيد بن الاسود يايزيد ارفع يديك الى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا وما زالت هذه السنة جارية الى هذا العهد في جميع البلاد الاسلامية في الاستسقاء كما انه لا يزال طلب الناس الدعاء من الخيار ومن بعضهم بعضا كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون منه الدعاء فى حياته صلى الله عليه وسلم بل قال لعمر لما خرج معتمرا : لاتنسنا يا أخي من دعائك : ومن هذا الباب استغاثة الناس يوم القيامة بالانبياء ثم ينتهون اليه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم فانها هي طلبهم من الانبياء أن يدعوا الله تعالى ان يفصل بين العباد بالحساب

حتى يريحهم من هول الموقف وحقيقة الشفاعة المأذون فيها ان الله سبحانه هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم عقب دعاء الشافعين الذين اذن لهم في المشفوع له ليكرمهم على حسب مراتبهم وينال نبينا صلى الله عليه وسلم منه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون وأما قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) فقال في الكشاف في تفسيره اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا له اه وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم يشفع لأمته بدعاء واستسقاء واستغفار في حياته ويطلب منه اصحابه ذلك فلما لحق بالرفيق الاعلى لم يطلب منهم أحد شيئا من ذلك وستطلب منه جميع الامم ذلك يوم القيامة ويكون لامته منه النصيب الاوفر عند حصول الاذن له من الله تبارك وتعالى كما وعده به من ذلك المقام المحمود فقد امتاز الله تعالى عن ملوك الدنيا في الشفاعة بانه لا يشفع عنده احد الا باذنه فهو مالك لها لا تطلب الا منه سبحانه وتعالى قال السويدي كما نقله عنه في جلاء العينين فينبغي لمن اراد ان يدعو بطلب الشفاعة أن يقول اللهم لا تحرمني شفاعته عليه الصلاة والسلام اللهم شفعه في ونحو ذلك ولو كانت تطلب منه صلى الله عليه وسلم الآن لجاز لنا ان نطلبها أيضا ممن وردت الشفاعة لهم كالقرآن والملائكة والأفراط وهم أطفال المؤمنين والحجر الاسود اذ قد ورد انه يشفع لمثل ربيعة ومضر وبالصالحين ولجاز لنا ان ندعوهم ونلتجىء اليهم ونرجوهم بهذه الشفاعة لهم والاذن فيها فتصير اذن والمشركين الاولين في طريق واحد ولم نفترق الا بالاعمال الظاهرة كالصوم والصلاة وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيها ومن

غير اعتقاد لحقيقتها ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل او فكرة فيما صح من النقل انتهى وقد بين ان جل احوال المشركين من آلهتهم التوكل عليهم والالتجاء اليهم بشفاعتهم ظنا منهم أنها نافعة عنده تعالى فارجع اليه ان شئت

قال الهندي: «وايضا قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين كأنا امرنا باتباع سنته وكان من سنته رضي الله عنه الدعاء من الله تعالى بتوسل الأولياء كانما امرنا بابتغاء التوسل بالانبياء عليهم السلام والأولياء العظام فيه اسرار خفية . يدق فهمها للاذهان الركيكة الا من كان له من الله تعالى قلب سليم وطبع مستقيم»

أقول انظر الى هذه العبارات الركيكة فلعلك تفهم من المقال وجملة الكلام ان هذه أشبه بمقدمات منطقية كانه يقول سنة عمر في التوسل ثابتة وقد قال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي الخ فسنة عمر مأمور باتباعها كسنته صلى الله عليه وسلم ونحن نقول كذلك نعمت السنه ونعم العمل بها من غير زيادة عليها ولا تصرف فيها ولا اخراج لها عن محلها فكل من عمل عملا لم تجر عليه الصحابة فهو مردود على صاحبه وبئست البدعة تتولد عنها بدع ويتسع الخرق على الراقع فانظر ماذا تولد من القول بجواز التوسل بالانبياء والصالحين بعد مماتهم وماذا حدث من تشييد القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الاسلام كما قال الشوكاني منها اعتقاد الجهلة كاعتقاد الكفار بالاصنام وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقاصد لطلب قضاء الحوائج والمطالب وسألوا منها مسألة العباد من ربهم وشدوا اليها الرحال واستغاثوا بها وبالجملة لم يدعوا

شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالاصنام الا فعلوه فانا لله وانا اليه راجعون ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لانجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لاعالما ولا متعلما ولا اميرا ولا وزيرا ولا ملكا وقد توارد الينا من الاخبار مالا يشك معه ان كثيرا من القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وابى واعترف بالحق وهذا من أبين الادلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين او ثالث ثلاثة فياعلماء الدين ويامولك المسلمين اي رزء للاسلام أشد من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله واي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة واي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجبا

لقد اسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها اضاءت * ولكن انت تنفخ في رماد

وانظر إلى قوله إن في التوسل بالانبياء والاولياء اسرارا خفية يدق فهمها الا على صاحب القلب السليم فلو كان له قلب سليم لم يتفوه بهذا الكلام السقيم المشعر بأنه لم يسلم من شائبة الشرك الوخيم ولم يذق حلاوة الاخلاص لربه العليم فكل إناء بما فيه ينضح وقد اشرنا سابقا الي شيء من تلك الاسرار الدقيقة عند الاذهان الركيكة فتأمل وانظر كيف فاتت هذه الاسرار الصحابة ومن بعدهم وخص بها هذا الهندي اوغيره ممن حذا حذوه

قال الهندي: «ياشيخ ما لكم ان تقعون في المسائل الدينية عليكم بيان

ثمن الرز والاقمشة ما علينا الا البلاغ هذا كلام بطريق الايجاز والاختصار وما خطر لي الآن بال والله أعلم بحقيقة الحال »:

أقول من ذا الذي يمنع التاجر في الرز والاقمشة وغيرها من طلب العلم والبحث مع أهله والارشاد بقدر ما علم حتى يكون عاملا به اليس ذلك من واجب العلم كما قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » وكيف ينمو العلم مع الانسان اذا لم يذاكر به ويرشد اليه لكن بمقدار ما عنده ولا يتجاسر على القول بما لا يعلم مثل هذا الرجل الهندي الذي جعل نفسه في عداد الانبياء فقال ما علينا الا البلاغ وهو يلحن في كلامه ولا يفصح عن مرامه وكيف يروي الحديث من لا يعرف علم العربية فأقل درجات المبلغ ان يكون مقتدرا على إفهام مخاطبه عن علم لا عن جهل واعلاها ان يكون مؤثرا عليه آخذا بمجامع قلبه مخاطبا لوجدانه مستخدما لعقله مقيما له الحجة مع صدق الحال اما هذا الهندي فليس عليه البلاغ بل عليه البلغة بالتعلم والوقوف عند ما يعلم ولا يزيد عليها ما لا يعلم ولا يحرم العلم على من يطلب العلم ويرغب فيه ويذاكر أهله ويرشد جاهله تاجرا كان أو فقيرا سيدا كان أو عبدا وعلى هذا الهندي ترك الدعوى فانها فضيحة وان كانت صحيحة قال بعضهم الدعوى تطفيء نور المعرفة فالعالم الصادق من يتأدب بآداب العلم ويقف عند حده ويكل العلم الى عالمه ويقول رب زدني علما وكلما انفتح له باب من العلم تصاغر في نفسه

قال الهندي: « العاقل يكفيه الاشارة والغافل لا تنفعه النقارة مصراع من الشعر لن يصلح العطار ما أفسده الدهر آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين »:

أقول أتى بهذا المثل (العاقل تكفيه الاشارة) تمويها على السامع بأن علمه واسع وان ما ذكره نقطة من بحر على حسب الاشارة مع ان هذا يخالف ما أورده في أول الرسالة بأن فيها البراهين القاطعة والحجج الساطعة وهو المطابق لاعتقاده والواقع في نفس الامر أن ما ذكره هو غاية مبلغه من العلم في هذا المقام وهو أعظم ما عند غيره ممن حذاحذوه ونقل عنهم وقد بينا بحمده تعالى الجواب عن تلك الشبه بيانا شافيا وبسطنا القول عما يتعلق بها فكان وافيا كافيا يستعين به من طالعه على دفع معظم ما أورده صاحب كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق) لبعض أهل العصر فانه لم يكبر حجمه الا بالنقول المتكررة في معناها والحكايات المتضمنة للاستغاثة والاشعار التي فيها وكان عليه ان يستوفي حقها وينقل ما فيها عن الشيخين ابن تيمية وابن القيم ثم يرده حرفيا فان كتبهما انتشرت الآن في الآفاق وأقبل عليها الحذاق وعسى ان بعض اخواننا يكفينا المؤونة في رده خدمة للحق والحقيقة وعشاقها والله يوفق لا إله سواه

وأما قول الهندي: مصراع شعر لن يصلح العطار ما أفسده الدهر: فلم ندر ماذا قصد به ولا نعيب عليه تكسير الشعر فانه لا يعرف النحو فضلا عن العروض ولعله يعني التجارة فليوازن بين كلامنا وكلامه وليجب صاحب التجارة ان كان عالما ونحن مستمدون لقبوله ان ظهر الحق معه ومناقشته الحساب ان اخطأ الصواب فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها ولسنا نقول له

ان عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضرة

ولا نقول الا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولكن نقول من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ونعمل ان شاء الله بقوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(خاتمة)

قد ظهر مما قررناه ان السنة في التوسل باسمائه تعالى وصفاته والاعمال الصالحة للداعي المتوسل وبدعاء الصالحين كما في الاستسقاء وقد تبين لك عذر المانعين من التوسل بالانبياء والصالحين بعد الممات وانهم لم يقصدوا إلا سد الذريعة والوقوف عند نصوص الشريعة وان القائلين بالتوسل بالذوات ليس لهم دليل الا ماورد من ان عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما وقال كنا نتوسل اليك بنبينا الخ وقد علمت ان ذلك في حياتهما وانه من قبيل طلب الدعاء من الاحياء ومثل ذلك مافي حديث الاعمى وحديث الشفاعة وليس محل النزاع انما هو بعد موت الذوات وأما قياسهم لها على الاعمال او حال الحياة فمردود لوجود الفارق وهو مظنة الفتنة والاستدراج فى الغلو بالتعظيم مع ان العبادة بالتوقيف من الشارع لا بد من سبب بين السائل والمسئول به ومجرد ذوات الانبياء والصالحين ومحبة الله لهم وحصول الجاه لهم عنده ليس بها ما يوجب حصول مقصود السائل كما سبق

وأما قول الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي في فتواه بعد مقدمة فمن قال اللهم اني اتوسل اليك برسلك وأنبيائك ونحو ذلك فانما يريد باجتبائك وارتضائك واصطفائك واختصاصك اياهم بالرسالة

والنبوة ونحو ذلك وهكذا صفات أفعاله تعالى فالتوسل بها ليس توسلا بغيره تعالى وحينئذ فلا فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والاولياء ولا بين كونهم أحياء وأمواتا اه فالجواب عنه من وجهين الاول انه ليس كل قائل ذلك يعتبر هذا الاعتبار وان الكلام على حذف مضاف بل لابد أن يلحظ معه بقلبه توسطهم في قضاء حاجته وانهم يشفعون له عند ربه ويقربونه اليه وهذا ما نحاذره فان تخصيصهم بالذكر مظنة الفتنة كمن يخص قبر وليه بالنحر عنده قائلا ان هذا صدقة عني أو عن روح هذا الولي فلم خص النحر بهذا الموضع ولم خصص هذا الولي دون غيره فان لسان الحال يقول * وفي النفس حاجات وفيك فطانة * الوجه الثاني ان ذلك ان جاز في التوسل بالاولياء هكذا اجمالا بغير تعيينهم فلا يجوز في المعين بدعوى أنه ولي لانه لا يجوز الحكم على أحد انه ولي الله فانه من الغيب الذي لا يعلمه الا الله كما في تفسير الحافظ ابن كثير فاذا علمت ان أمر العبادة بالتوقيف والاتباع كما سبق فالوقوف عند المأثور والعمل به نور وجلاء لما في الصدور وفي الادعية الواردة الكفاية فما أحسن الوقوف عندها والدعاء بما لا خلاف فيه أفضل بالاجماع ومن أسباب قبوله وكيف نتوسل بالانبياء والصالحين ولم نتابعهم فقد خالفناهم بهذا التوسل المبتدع الذي لم يشرع وكيف ندعي حبهم ولم نتابعهم والله يقول (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) فلم يكن بيننا وبينهم هذا السبب الذي يربطنا بهم ويسوغ الوسيلة ومجرد سؤال الله بهم وبجاههم من غير اتباع لما جاء به الرسول لا ينفعنا فسؤال الله بأحد من خلقه مكروه كراهة تحريم على الاصح كما قال به جمهور العلماء لما فيه من الاقسام على الله بخلقه وهو تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات

فشأنه عظيم سبحانه وتعالى وأما مانبت في الصحيح عنه صلى الله عليه من انه قال (رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره) فهذا من باب الحلف بالله سبحانه ليفعلن هذا الامر فهذا إقسام عليه تعالى به ليس اقساما عليه بمخلوق على أن الامر في التوسل بالانبياء والصالحين سهل اذا لم يتجاوزه الى غيره فان أصل وضعه هكذا أتوسل اليك يا الله بجاه الانبياء او بحقهم او ما اشبه ذلك مع توجيه الطلب الى الله منه سبحانه ولكن القول بذلك استدرج الناس الى الخروج عن هذا الحد وادى الى العكوف حول القبور ودعاء اصحابها لجلب الفوائد وكشف الشدائد واخذ تربتها تبركا واسراجها وتخليقها وغير ذلك كما قال اليماني

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من بحيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف عند القبور مقبلا ويلتمس الاركان منهن بالأيد

فترى احدهم قد اتخذ اسم وليه ذكرا على لسانه من دون الله إن قام وإن قعد وإن عثر ويزعم بانه باب حاجته الى الله ووسيلته اليه وهكذا كان عباد الاصنام اتخذوا تماثيل الانبياء والملائكة وسائل ووسائط يدعونها ويرجونها لتشفع لهم عند الله في قضاء حوائجهم وتقربهم منه زلفى ولم يعتقدوا فيها الضر ولا كشفه ولا إمساك الرحمة عنهم قال في الاقناع وشرحه من كتب الحنابلة من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعا لان هذا كفعل عابدي الاصنام قائلين « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » اه

فالطامة الكبرى هو دعاء غير الله الذي يسميه علماء السوء توسلا واستغاثة فان الدعاء عبادة خاصة به تعالى لا يجوز صرفه لغيره كالسجود والذبح وغيرهما ولم يرد في نوع من انواع الكفر والردة من النصوص مثل ماورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه فكم فيه من آيات صريحة قال تعالى (واذا مس الانس ضر) الآية وقال (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير إن تدعوهم) الآية وقال (فلاتدع مع الله الها آخر) وقال (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) ولو لم يكن في القرآن الا مجرد طلبه من خلقه لكان ذلك كافيا في كونه عباده فكيف اذا انضم الى ذلك النهي عن دعاء غيره تعالى وقد توعد خلقه على الاستكبار عن الدعاء كما جعل جزاءه الاجابة لما أمرهم فقال (ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم) والاستكبار هو تركه لان الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فكان تاركه انما تركه لاجل ان يستكبر عن العبودية ولا يتحقق الدعاء الا اذا كان الداعي معولا بقلبه على تحصيل مطلوبه فمن دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله أوجاهه أو اقاربه أواصدقائه أو جده أو اجتهاده أووليه، فهو في الحقيقة مادعا الله الا بلسانه اما القلب فهو معول على تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا العبد ما دعا الله كما قال ذلك بعض المفسرين فلا شك ان الدعاء من اجل الطاعات وأعظم العبادات بجميع معاني العبادة الاصطلاحية واللغوية فانها نهاية الخضوع والتذلل قال بعضهم انها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من دعاء ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وزكاة وصلة رحم وبر وقال الفقهاء كل ما أمر به شرعا من

غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي وفي الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الدعاء مخ العبادة» وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الدعاء هو العبادة» ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) قال الترمذي حديث حسن صحيح قال الشارح معنى قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة أي خالصها لان الداعي انما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه وذلك حقيقة التوحيد والاخلاص انتهى فمن صرف هذه العبادة لغير الله بأن دعا ميتا أو غائبا طالبا منه مالا يقدر عليه الا الله من قضاء حاجة أو تفريج كربة فقد أشرك قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته السنية لما تكلم على حديث الخوارج فاذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه قد انتسب الى الاسلام ممن قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب في هذا الزمان قد يمرق أيضا وذلك بامور (منها) الغلو الذي ذمه الله كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية بمثل ان يدعوه من دون الله بأن يقول ياسيدي فلان اغثني أو أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله أرسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه آلهة أخرى والذين يجعلون مع الله الهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزيرا والصالحين أو قبورهم لم يكونوا يعتقدون انها تخلق أو ترزق وانما كانوا يدعونهم «ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» فبعث الله الرسل تنهى ان يدعوا من دونه ندا لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة

انتهى. فعلى هذا من يعتقد فيمن يدعوه النفع وانه له قدرة على اجابة المضطر واغاثة الملهوف وقضاء حوائج السائلين يكون أشركه في الربوبية وذاك لم يبلغه شرك المشركين من اهل الجاهلية من الامين والكتابيين بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفا وتدبيرا فالى الله المشتكى من اناس يدخلون في باب التوسل دعاء غير الله مما يجري على ألسنة العامة ويدافعون بالمكابرة ويكذبون الوجدان والمحسوس ويخدعون أنفسهم ويغررون بخلق الله ولم أر من أولئك المدافعين من تنازل الى القول بتحريم ذلك الا القليل منهم علامة ثغرنا الشيخ علي باصبرين الشافعي الحضرمي نزيل جدة قال رحمه الله في كتاب ارشاد كل العبيد لخالص التوحيد ما نصه والذي اراه وهو الحق الذي عليه ان شاء الله المعول في المسألة الاولى ان من قال يارسول الله مثلا وهو يعلم ان المدعو ليس له شرك في الملك ولا التأثير ولا التدبير ولا في اعانة على تحصيل شيء من المنافع ولا دفع شيء من المضار ولا تحصل شفاعة عند الله له من الغير ولا لغيره منه الا باذن الله ولا يملك لنفسه ولا يدفع عنها فضلا عن غيره موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا ولا عزا ولا ذلا ولا غنى ولا فقرا ولا نصرا ولا قهرا مع كونه جازما ان شفاعته وسؤال الشافع والسائل له عند الله لا يغير شيئا مما في علم الله ثبوتا او نفيا فان ما سبق في علمه تعالى لا يتغير بدعاء ولا شفاعة داع او شافع وانما فائدة الدعاء والشفاعة حينئذ امتثال الامر والتلذذ بخطابه تعالى وما شرع الدعاء الا وقد أعد الاجابة وفق مراده تعالى وعلمه ولا يرى ان المدعو أرحم أو أرأف أو أجود أو أكرم أو أستر أو أسمع من الله تعالى لدعائه ولا

مثله لا يكفر ولا يشرك الكفر والشرك الجليين المخرجين له من دائرة الاسلام والايمان الذين هما حصن من خلود الجحيم لان مجرد دعاء غيره تعالى لا يوجب الكفر الجلي وانما فيه تفصيل يرجع الى الداعي والمدعو اليه فان سلمت عقيدة الداعي كما ذكرنا نظر الى المدعو اليه فان كان مما جرت العادة فيه ان لغير الله فيه بحسب الظاهر دخلا كان قال عطشان يا فلان اسقني أو عاجز عن الركوب يافلان احملني على دابتي أو من أقبل عليه عدوه لاخيه انصرني على عدوي اوأغثني جرت فيه الاحكام الخمسة لا الكفر الجلي وان كان مما لا دخل فيه لغير الله كيافلان وفقني او اغفر لي ذنوبي او ادخلني في غرفتك او اشتر أبي لئلا يموت فهذا كله ونحوه كاجرني من الله او من عذاب الله او اسعدني مما يحرم التفوه به مطلقا وهو الشرك الخفي ولا يخرج عن الدين ويزجر ويعزر مرتكبه هذا مع سلامة عقيدته الباطنة والا فهو كافر مطلقا قال أولم يقل لا فرق بين المدعوين أن يكون حاضرا او غائبا حيا أو ميتا رسولا أو نبيا أو غيرهما ذا روح أولا لما في تلك الالفاظ من ايهام غير واقع اذ لا يطلب ذلك الا منه كالحفظ من المكروهات والشفاء من الامراض ودفع الاسقام والنصرة الدائمة على الاعداء وان كان مما تجري العادة بطلبه من المخلوق مع سلامة عقيدة الداعي وامكان حصوله باذن الله من المدعو كيافلان اشفع لي عند ربي وأسألك الشفاعة عند ربي مطلقا أو في حصول كذا مما يجوز طلب حصوله من الله عزوجل فلا كفر جلي ولا خفي (نعم) هو خلاف الأولى والأولى انما هو اللهم شفع في فلانا بفضلك واحسانك واحسن منها اللهم بجاه فلان افعل لي أو بي كذا وكذا — واجل واعز

وأعظم التشفع والتقرب والتوسل اليه تعالى بذاته وصفاته وأفعاله والاقسام بهن عليه تعالى أه — وقال في موضع آخر وانما اطلاق اللفظ الموهم حرام فقط مع صحة العقيدة وهو الشرك الخفي أعني مطلق معصية وليس ذلك شركا جليا مخرجا لقائله عن دائرة الايمان والاسلام كقوله شيء لله يا عمودي مثلا والحملة على الله أو حامل الجوار الله أو ماصدقت بالله يحصل أو يندفع لي أو عني له أو انظر الي فعل القدرة أو القدرة فعالة أو بحق فلان على الله أو يسأل من النبي أو من غيره مالا دخل في تدبيره لغير الله تعالى كقوله يا فلان اهدني اغفرلي اصلح أعمالي اشفني ارزقني امطرنا ومن ذلك يا ولي الله جئنا اليك وحططنا الذنب بين يديك فان هذه ألفاظ موهمة في ظاهرها فان أضيف الى ذلك فساد العقيدة فهو الكفر الجلي وان سلمت سلم من الكفر الجلي وبقي عليه اثم الاتيان باللفظ الموهم المعبر عنه بالشرك الخفي انتهى بحروفه فانظر الى تلك العقيدة الصحيحة التي أشار اليها في أول كلامه وانظر الى حال من تصدر منهم تلك الالفاظ والى ماقدمناه والى مانقله هذا بنفسه عن الشيخ عبد الخالق الزجاجي الزبيدي مانصه وقد قال تعالى في اثر سماء (أصبح من عبادي مؤمن وكافر أما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب) وقد ذهب العامة هذا المذهب في الاولياء فان مرضوا قالوا هذا من فلان وان شفوا قالوا بركة سيدي فلان فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم من دون الله ونذروا لهم من دون الله واستسقوهم من دون الله فان أجرى الله تعالى الوادي قالوا

شيء لله يافلان وان قبض عنهم المطر قالوا حمقة فلان والله سبحانه القابض الباسط المحيي المميت وكل شيء بيده من ملك وملكوت ولو ذهبنا نتكلم في الكتاب والسنة من التحذير عن ذلك لكان يرى الناس قد هلكوا ولهذا تراهم أكثر اتباع الدجال فافهم هذه الجملة انتهى ...

فان قيل فما تقول فيما جاء من ذلك في أشعار الخاصة من أهل العلم والادب والفطنة ممن تصدى لمدح النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين مما لا يأتي عليه الحصر ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة فالجواب ان ذلك لم يقع من قائله الا لغفلة وعدم تيقظ ولا مقصد له الا تعظيم جانب النبوة والولاية ولو نبه لتنبه ورجع وأقر بالخطأ والشعر مبناه على المبالغة التي تخرج صاحبها عن الحد واذا كان القائل قد صار تحت أطباق الثرى فينبغي ارشاد الاحياء الى مافي ذلك الكلام من الخلل ليحصل به التنبيه والتحذير لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين * ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) كما قال ذلك الامام الشوكاني في الدر النضيد في اخلاص التوحيد] وينبغي نشره بلسان الطبع وكذا [كتاب تطهير الاعتقاد] للسيد محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني وكذا [كتاب تجريد التوحيد] للامام المقريزي صاحب الخطط وكذا [كتاب سيف الله على من كذب على أولياء الله] لصنع الله الحلبي الحنفي . وينبغي لفضلاء العصر التفنن في الارشاد الى ذلك الموضوع بتأليف الرسائل الكثيرة ونشرها بين الناس كما رأينا ذلك من بعض أرباب الهمم العلية كثر الله أمثالهم كما انه ينبغي لولاة الامور وفقهم الله بعث الدعاة الى البادية واطراف البلاد لنصح العامة وارشاد الجهلة وسد الذرائع المفسدة وقطع عروق البدعة

ولنختم هذه العجالة بكلام صديقنا العلامه الشيخ محمد طيب المكي في رسالته في التوحيد فانه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووفقه الأمر انه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو مترتبا على تصرف آخر كأن يخلق شيئا ويخلق بذلك شيئا آخر وهذا هو القول بالاسباب ولكن مع الاعتراف بان الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذا بعموم قوله تعالى (انما أمرنا لشيء اذا أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدره يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المتهمكين في الأولياء من أن لهم التصرف وان الله أعطاهم تصرفا في العالم وانهم يولون ويعزلون ويذلون ... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيهما من شرك) بخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضا على المعتزلة اذ العبد لو خلق فعله لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) رد على الذين يقولون : ما نعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فكيف لنا معرفة من اذن له فان نهاية ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة

والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد قول الانبياء نفسي نفسي ماعدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك بانى أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعا إما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن من أطاع شيئاً أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقرره وأيضاً من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً — أمر ان لا تعبدوا الا اياه — قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم — فلا تدعوا مع الله أحدا — ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال (ياغلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه كمن قال ياشيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين) . واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون وجه فأطاعه مطلقاً فان الله سمى ذلك المطيع عابدا لذلك المطاع ومتخذه ربا قال الله تعالى (لا تعبدوا الشيطان — يا أبت لا تعبد الشيطان — اتخذوا أحبارهم

ورهبانهم أربابًا - أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه)فاذن ليس لأحدان يعبد غير الله ولا أن يدعوه وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء مخ العبادة وأما من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقًا ومنهم من يجعله مكروها كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من يجيزه على كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه أولى من هذه الحيثية وسدا للذرائع لان الجهلة لا يفرقون بين التوسل والاستشفاع والطلب من المتوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم مخصوص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الادلة الواردة بالتجويز مع ضعفها فانها لا تفيد الا جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع بتقربه من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من المبتدعين انتهى وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة ياشيخ عبدالقادر شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند ابحاث شريفة في هذا المقام لا تقدر على ايرادها في هذه العجالة أما اهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضرموت لو لم يقيض الله أولئك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما مادار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ماحصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف

مايفتريه الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فلهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الالباب وهذه كتبهما قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحاكم بينهم بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فمزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاول والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يحاكم بين غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين فاذا اظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالفة ولو خالفك فانه يخالفك ويعذرك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بلا حجة وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته الذميمة فلا تغتر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان وحده وان خالفه أهل الارض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذا باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله ابن مسعود فسمعته يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته يوما من الايام وهو يقول سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا

الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذاك قلت تامرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال يا عمرو بن ميمون، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة؟ قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرب على فخذي وقال ويحك انّ جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى، وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان يفسدوا، وان كنتَ وحدك، فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرهما البيهقي وغيره، وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال أتدري من السواد الاعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه، فسخ المتخلفون الدين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكرا لقلة أهله، وتفردهم في الاعصار والامصار، وقالوا من شذ شذ الله به في النار وما عرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق، وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً منهم فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل، الا نفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل، وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا اله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المهيع لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين {رجال صدقوا ما عاهدوا الله

عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا } انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل ومنهم الشعراني قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا وفي رواية عنه لو أن فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيها له بابراهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »